مقالة رابعة

﴿ في تاريخ الموارنة في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر ﴾

﴿ عـد ٢٧ ﴾

﴿ في بطاركة الموارنة الى اخر القرن الحادي عشر ﴾

ان البطريرك اسطفانس الدويهي بعد ذكره البطاركة الذين دبروا كنيسة الموارنة الى يوحنا مارون الثاني كما مرّ في تاريخ القرن الثامن قال (في كتابه في سلسلة بطاركة الموارنة) «اما باقي بطاركة الموارنة الذين رقوا الى الكرسي الانطاكي واقاموا في لبنان الى حين قدوم الافرنج الى سورية فما امكننا ان نعرف اخبارهم لقلة من كتبوا في تلك الايام ولا تلاف غير الدهر ما وجد من الكتب واضطرار الناس الى التنقل متواترًا وقد حرقت بعض كتبنا وتشتت كثير منها على اننا عثرنا من مدة على كتاب قديم يشتمل على رتبة القداس وقد علقت على اخره الصلوات التي يتلوها الخادم في القداس كل يوم وفي احدى هذه الصلوات ذكر البطاركة الذين دبروا رعية المسيح في الكرسي الانطاكي واليك ترجمة ما جاء في هذه الصلوة عن اللغة السريانية « نذكر ايضاً جميع الرعاة المحقين والاباء القديسين من بطرس زعيم الرسل واول جميع الرعاة. واغناتيوس تلميذه الى توافيلس ويشوع وداود وغريغوريوس ودوميط واسحق ويوحنا الذين خدموا مقام رياسة الكهنوت في البيعة المقدسة الكاثوليكية والرسولية في الكرسي المقدس المجيد كرسي مدينة الله انطاكية فارحمنا اللهم بصلواتهم المقدسة» ويلي ذلك تذكار اخر اطول من الاول كتب فيه ما ترجمته « نذكر توافيلس وغريغوريوس واسطفانس ومرتس

واوسابيوس ويوحنا ويشوع وداود وغريغوريوس وتوافيلكتس ويشوع ودوميط واسحق ويوحنا وسمعان وارميا ويوحنا وسمعان وسمعان هذا حبيب الله الذي يدبرنا الان فارحمنا اللهم بصلوات هؤلاء جميعاً » قال العلامة الدويهي حصل عندنا ريبة في البطاركة الاربعة عشر الذين مرّ ذكرهم من وجهين الاول ان طقسنا قريب من طقس اليعاقبة فخشينا ان يكون هولاء البطاركة يعقوبيين. والثاني انه ندر ان يسمي الموارنة يشوع بطريركاً حرمة لمن فدانا بدمه لكننا عثرنا بالوقوف على سلسلة بطاركة اليعاقبة فحصلنا على نسختين من كنيستيهم في دمشق وحلب فلم نجد فيها ذكرًا لهولاء البطاركة الاربعة عشر فتحققنا انهم لم يكونوا يعاقبة بل من بطاركة امتنا المارونية واما اسم يشوع فليس الا عيسى وكثيرون منا يسمون بهذا الاسم » انتهى كلام الدويهي وقد تابعه عليه لكويان في المشرق المسيحي ناقلاً عنه كلامه برمته قلنا ان بطاركة اليعاقبة معروفون الان جيدًا وقد نظم ابن العبري سلسلتهم الى ايامه في تاريخه البيعي الذي ترجمه السيدان ابواس ولامي استاذا كلية لوفان الى اللاتينية وعلقا على ترجمتهما فوائد كثيرة وقد ذكر السمعاني ايضاً سلسلتهم عن ابن العبري في المجلد الثاني من المكتبة الشرقية وليس منهم البطاركة الاربعة عشر المذكورون

وجاء في مجمعنا اللبناني قسم ٣ فصل ٦ في كلامه على البطريرك والكرسي البطريركي ما يأتي « وكان الكرسي البطريركي اولاً في دير القديس مارون بكفرحي من ابرشية البترون وجلس عليه من البطاركة من سنة ٦٨٥ فصاعدًا يوحنا مارون وقورش وجبرائيل ثم نقل الكرسي الى دير القديسة مريم بيانوح من ابرشية البترون المذكورة وجلس عليه بعد جبرائيل المذكور يوحنا الثاني ويسمى مارون ايضاً ثم يوحنا من دملصا وغريغوريوس واسطفانس ومرقس واوسابيوس ويوحنا ويشوع وداود وغريغوريوس الثاني وتوافيلكتس ويشوع الثاني ودوميط

واسحق ويوحنا وسمعان ويوسف الجرجسي الى سنة ١١٢٠ ونقل الكرسي ثالثاً الى دير القديسة مريم حذاء ميفوق بوادي ابليج في ابرشية جبيل »

تتداول ايدي الموارنة كتاباً يشتمل على عدة تواريخ منها تاريخ بعض الاسرات وتاريخ بعد احداث في جبة بشري وتاريخ الرهبنة اللبنانية وفي جملتها سلسلة لبطاركة الموارنة من القديس يوحنا مارون الى البطريرك يوسف حبيش وبعد ان ذكر اكثر البطاركة الذين ذكرناهم هنا اورد اسماء نحو من اربعين بطريركاً الى البطريرك يوسف الجرجسي ولم يسند كلامه الى شاهد ولا نعلم من اين جمع كل هذه الاسماء التي غفل عنها التعلامتان البطريرك اسطفانس الدويهي ويوسف السمعاني ولذلك لا نرى ما رواهُ صحيحاً ونعزى هذا الكتاب الى الشيخ انطونيوس ابي خطار من عينطورين الذي كان مشهوراً بحبه المطالعة

ولا نعجب من عدم التوصل الى الاخبار المفصلة عن البطاركة الذين ذكرناهم في القرون الاربعة من بدء القرن الثامن الى اخر القرن الحادي عشر فكل يعلم ان هذه القرون تسمى قرون الجهل وان التاريخ الشرقي البيعي في هذه القرون ولا سيما تاريخ سورية هو سقيم غامض ومن دونه حنادس جهل لا يهتدي فيه الى امور اخرى اكثر اهمية وقد رايت ما قاله الكويان في المشرق المسيحي عن بطاركة انطاكية واورشليم في هذه القرون انه لم يكن لهم تاريخ غير ما نقب عنه الافرنج بعد استحواذهم على سورية في بدء القرن الثاني عشر وما ظنك ببطاركة الموارنة الذين لم يقيموا في المدن الشهيرة كانطاكية واورشليم بل في كفرحي وبانوح بين قمم لبنان الوعرة الصعبة المسالك موثرين العزلة في اصعب المحال مسلكاً على الاقامة في المدن والتعرض للاخطار تعوزهم جميع وسائل العلم ويحسبون من السعادة ان يعيشوا مع رعاياهم امنين ومحافظين على ايمانهم القويم

﴿ عـد ٢٨ ﴾

﴿ في قيس الماروني ﴾

جاء في كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي الذي طبع في ليدن سنة ١٨٩٤ صفحة ١٥٢ عند كلامه في مارون « ولبعض متبعيه من المارونيين ويعرف بقيس الماروني كتاب حسن في التاريخ وابتداء الخليقة والانبياء والكتب والمدن والامم وملوك الروم وغيرهم واخبارهم وانتهى بتصنيفه الى خلافة المكتفي ولم ارَ للمارونية في هذا المعنى كتاباً مولفاً غيره » انتهى كلام المسعودي والمعلوم ان المكتفي بويع له بالخلافة سنة ٢٨٩ هـ الموافقة سنة ٩٠٢ م وتوفي سنة ٢٩٥ هـ اي سنة ٩٠٨ م وعليه فيكون قيس الماروني عاش في اواخر القرن التاسع واوائل القرن العاشر على ما ذكر المسعودي ولكن من هو قيس هذا وما هو كتاب تاريخه الحسن فزعم بعضهم انه ليس هو الا توافيلس الرهاوي الماروني الذي ذكرنا ترجمته في القرن الثامن وهذا الزعم باطل من اوجه اخصها ان توافيلس كان في ايام المهدي وتوفي في ايامه كما ابنا في ترجمته والمهدي توفي سنة ١٦٩ هـ الموافقة لسنة ٧٨٦ م والمسعودي قال ان قيس انتهى بتصنيفه الى خلافة المكتفي وهذا بويع بالخلافة سنة ٩٠٢ كما رايت فكان قيس بعد توافيلس باكثر مئة سنة فلم يكن اياه

وقد عثر الاب نو المستشرق الافرنسي في اندره على كتيب سرياني في عـدد ١٧٢١٦ من الكتب المخطوطة ونشره في كتابه الذي عنونه **Opusculus uaronites** (اي كراسات او كتيبات مارونية) وطبعه في بريس سنة ١٨٩٩ ففي صفحة ٣٢ فصاعداً من هذا الكتاب اثبت ما استطاع ان يقراه من نصه السرياني واسماً اياه بفقر من تاريخ سرياني ماروني وقد اهدى اليَّ الاب نو كتابه المذكور فطالعت فقراته وقد استشهدت ببعضها كما رايت وكل اصل هذا الكتيب يشتمل على خمسة عشر صفحة كما اشار

الاب نو في نسخه الاصل وجل ما تضمنه كلام موجز في ادم وبعض رؤساء كهنة اليهود وبعض ملوك اليونان وبعض ملوك الرومانيين وكلام في ماني المبتدع وابو لينار اللاذقي المبتدع وذكر بعض الزلازل وبعض الاحداث في ايام معاوية وقد ظن نو وغيره ان تلك الفقرات مقاطيع من كتاب قيس الماروني وقد ذهب العلامة ريت الذي تكلم في الكتب السريانية القديمة المحفوظة في المتحف البريطاني ان ذاك الكتيب قديم العهد واستدل بصورة كتابته على انه خط في القرن الثامن او التاسع وقد اطال العلامة نلدك (في المجله الاسياوية الالمانية) الكلام في هذه الفقر وبين عظم اهميتها وعزاها الى كاتب ماروني وذهب الى ان الكاتب كان راهباً او ناسكاً لكثرة ما ورد في تلك المقاطيع من اسماء الاديار والمناسك ولم يقطع بانه قيس الماروني

فالحاصل من ذلك على ما نرى اولاً ان لا ريب في انه كان مؤلف بين القرنين التاسع والعاشر يسمى قيس الماروني وانه الف كتاباً حسناً جامعاً تواريخ كثيرة كما اشار المسعودي الذي هو ثقة في نقله وقريب من عصر المؤلف المذكور ولا غرض له في ان يختلق هذا الخبر. ثانياً انه من الموكد ايضاً ان قيس الماروني غير توافيلس الرهاوي الماروني لا من قبيل التباين بين عصريهما كما مرّ بل من قبل اوجه اخرى ايضاً منها ان توافيلس كان رئيس منجمي المهدي والمقاطيع المذكورة التي يرجح انها من كتاب قيس يظهر منها على ما ذهب اليه نلدك ان كاتبها كان راهباً او ناسكاً. ثالثاً ان الارجح عندنا ان القطع التي اشهرها نلدك او الكتيب الذي اذاع الاب نو اصله وترجمه الافرنسية ليس هو كتاب قيس برمته حتى ولو امكن قراءة كل ما قال نو انه وجده ممحوّاً او لم يتيسر له ان يقراه لان هذا الاثر لا يشتمل اصله الا على خمس عشرة صفحة والمسعودي قال ان كتاب قيس يتضمن ابتداء الخليقة والانبياء والكتب والمدن والامم وملوك الروم وغيرهم

فتاريخ كل ما ذكره لا تسعه خمس عشرة صفحة وان وسعته فلا يكون كتاباً حسناً في التاريخ كما وصفه المسعودي . رابعاً يظهر لنا ان المقاطيع المذكورة والكتيب السرياني الذي نشره نو عن الاصل الكائن في المتحف البريطاني انما هي جزء من كتاب قيس المذكور او فقرات منه نسخها غير المؤلف اذ شهد من تقبوا عنها ان فيها اغلاطاً لغوية مع صحة اخبارها ومطابقتها لما كتبه علماء ذلك العصر الذي لا نعرف فيه من علماء الموارنة الا توافيلس وقيس المذكورين . والله اعلم

﴿ عـد ٢٩ ﴾

﴿ رد مزاعم من اتهموا الموارنة بالضلال في القرن العاشر ﴾

اعترض على الموارنة بشهادة ساويرس اسقف الاشمونيين من القبط في القرن العاشر سنداً الى ان هذا الاسقف وهو من اصحاب بدعة الطبيعة الواحدة قال في كتاب الفه منتقداً فيه عادات استطرقها فرق النصارى في ايامه « ان الموارنة فرقة ممتازة عن اليعاقبة والارمن والملكية وعن اللاتينيين ايضاً » وكل يرى ان ليس في هذا الكلام الذي رويناه بالحروف نفسها التي رواه بها المعترض ما يدل على ضلال يستمسك به الموارنة فامتيازهم عن اليعاقبة بينة لهم على انهم ليسوا على ضلالهم باعتقاد الطبيعة الواحدة في المخلص وكذلك امتيازهم عن الارمن الذين كانوا في عصر المؤلف كاليعاقبة باعتقادهم طبيعة واحدة في المسيح واما امتيازهم عن الملكية فان اراد بهم الكاثوليكيين فالموارنة ممتازون عنهم من حيث الطقس والطائفية والرعاة كما هم الان وان اراد بهم غير الكاثوليكيين فيكون كلامه بينة للموارنة على انهم كاثوليكيون صحيحوا العقيدة خلافاً للملكية غير الكاثوليكيين وامتيازهم عن اللاتينيين كامتيازهم عن الملكية الكاثوليكيين لا يشعر بخلاف ديني بل بخلاف طقسي وطائفي ويمكننا الان ان نقول ولا حرج انا ممتازون عن اللاتينيين لان لنا رعاة وتهذيباً وطقساً غير ما لهم من

ذلك والامر بين وقد استوفينا الكلام فيه في كتابنا روح الردود صفحة ٩٢ من طبعة بيروت

ان اول طاعن بالموارنة بل مصدر كل طعن عليهم بانهم تشبثوا ببدعة المشيئة الواحدة انما هو سعيد بن بطريق البطريرك الملكي الاسكندري الذي كان في القرن العاشر وقد فندنا زعمه ودحضناه كل الدحض في مواضع كثيرة من كتابنا هذا وفي عد ٦٦٨ في المجلد الرابع نقضنا قوله بقوله نفسه اذ قال ان مارون مبدع بدعة المشيئة الواحدة كان في زمان موريق ملك الروم فابنا ان القديس مارون كان قبل موريق الملك بنحو من قرنين وقبل ظهور هذه البدعة باكثر من قرنين وفي عد ١٧ من هذا التاريخ رددنا زعمه ردًا مسهبًا باقامة الحجج القاطعة الدامغة على كذبه وبايراد شهادات كثيرين من الاحبار الاعظمين والعلماء المحققين والاستدلال بقرائن عادلة لا يشوبها ريب ثم عددنا كثيرًا من اغلاطه الفاضحة في غير هذا المبحث وفي عد ١٨ من هذا التاريخ اثبتنا ترجمة رسالة البابا بنادكتس الرابع عشر الى نيقولاوس لركاري بهيئة براءة في اثبات قداسة القديس مارون حيث فند هذا الحبر العلامة زعم سعيد المذكور تفنيدًا من المحال ان يعترض عليه او يوجد ما يضعف قوته وقد محقنا زعم سعيد المذكور في مواضع كثيرة من كتابنا روح الردود وقد فندناه اخيرًا كل تفنيد في كتيبنا الذي رفعناه سنة ١٩٠٠ بالافرنسية الى مجتمع الآثار القديمة المنعقد في رومة ثم نشرناه بالعربية ووسمناه بالحجة القاطعة الجلية على من ينكرون ثبوت الوارثة الدائم في العقيدة الكاثوليكية وقد ذكرنا في كتبنا المذكورة من فند مزاعم سعيد بن بطريق من العلماء الاعلام ولا سيما علماء امتنا المارونية حتى اصبحت هذه الحقيقة في جملة ما يقال فيه :

وليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

واذا كان ديجور الجهل المنسدل على تواريخ هذه القرون الوسطى لا يمكننا

من الاطلاع على امور كبيرة وعامة فلا عجب من ان نجهل تاريخ امة صغيرة كانت مستأمنة في قمم لبنان وكهوفه في القرن العاشر حتى لا يتيسر لنا ان ندون شيئاً من تاريخها في هذا القرن

عد ٣٠

في المطران داود الماروني

كل ما نعلمه من ترجمة هذا الاسقف انما هو انه كان مارونياً ورئيس اساقفة وانه كان في هذا القرن الحادي عشر وانه ترجم من السريانية الى العربية كتاباً كان احد آباء الطائفة المارونية قد الفه وقد عني بهذه الترجمة سنة ١٣٧٠ لاسكندر المكدوني توافق سنة ١٠٥٩ وقد ذكر هذا الكتاب البطريرك اسطفانس الدويهي الاهدني في الفصل السادس من كتاب احتجاجه عن الموارنة ورفع التهم عنهم وسماه تارة كتاب القوانين وتارة كتاب الهدى او كتاب الهداية وذكره مرهج بن نيرون الباني الماروني في مقالته في اصل الموارنة واسمهم ودينهم صفحة ٨٩ وفي كتابه المعنون افلوبليا (اي سلاح) الايمان صفحة ١٧٠ وابراهيم الحاقلي في كتابه في اصل اسم بابا صفحة ٤٩٢ واتى بذكره دي لاروك في كتاب سياحته في سورية وجبل لبنان مجلد ٢ صفحة ٩١ وقد ذكره العلامة السمعاني في كتابه فهرست الكتب المخطوطة القديمة الشرقية في المكتبة الواتيكانية الذي الفه بمعاونة المطران اسطفان عواد السمعاني ابن اخته كما سيأتي وقد ذكره مرات في مكتبته الشرقية وحقق انه هو الذي اخذ هذا الكتاب من المشرق وضمه الى المكتبة الواتيكانية اذ روى في فهرست الكتب العربية التي نقلها من المشرق الى المكتبة المذكورة في صفحة ٦٢٩ من المجلد الاول ما ترجمته « الكتاب السادس والسبعون (من المكتبة المذكورة) يشتمل على رسالة الانبا يوسف الى داود مطران الموارنة المؤرخة في سنة ١٣٧٠ (لاسكندر الموافقة

لسنة ١٠٥٩ للميلاد) والتي سأله بها ان يرسل اليه كتاب القوانين البيعية ثم جواب المطران داود الى الانبا يوسف وقد ارسل اليه المقالة المشتملة على القوانين التابعة بمجموعة القوانين تنطوي على ثلثة وخمسين عنواناً : العنوان الاول في الايمان ٢ في الايمان بسري التثليث والتجسد ٣ في الصلاة ٤ في الاشياء النجسة ٥ في الاشياء الطاهرة ٦ في القربان الاقدس ٧ في التقادم ٨ في الشركة ٩ في المعمودية ١٠ في الصوم ١١ في العشور ١٢ في تقدمة الخراف ١٣ في تقدمة الثمار ١٤ في شرح دستور الايمان ١٥ في القوانين المختصة بالمؤمنين اجمع ١٦ في قوانين الرهبان والراهبات ١٧ في قوانين الكهنة ١٨ في قوانين المؤمنين والصلوات القانونية ٩ في الصوم والطلاق والزواج والامانة والقضاء ٢٠ في البطاركة والاساقفة والكهنة والشمامسة والرهبان والعامة ٢١ قوانين المجمع القسطنطيني الثاني ٢٢ قوانين كيرلس الاورشليمي في المعمودية والزيجة ٢٣ في المسيح الاله ٢٤ قانون يوحنا الانجيلي ٢٥ قانون في الاسباب المسوغة هجر الرجل امرأته وبالعكس ٢٦ في المسيح والناموث نقلاً عن كتاب عدي بن ابرهيم المعروف بابن عديان الذي دون سنة ٣٨٦ هـ (وهي سنة ٩٩٧ م) ٢٧ في الصلوة الربية ٢٨ قوانين اكليمنضس ٢٩ في حفظ ايام الاعياد ٣٠ في تكريس الهياكل ٣١ في المبرون المقدس ٣٢ في المذابح ٣٣ في الملابس الكهنوتية ٣٤ في قوانين الرسل وهي واحد وثمانون قانوناً ٣٥ قانون بطرس الرسول للكنيسة ٣٦ في العشور والبكور ٣٧ مراسيم بطرس الرسول ٣٨ مرسوم بولس ٣٩ مرسوم بولس وعلى قول اخرين مرسوم يعقوب في ذكر الموتى ٤ في جنازة الموتى ٤١ في من يقاسون الاضطهاد من اجل الايمان ٤٢ في درجات الكهنوت ٤٣ قانون بولس في تناول القربان

٤٤ في قوانين المجمع النيقوي وهي اثنان وعشرون قانوناً ٤٥ في قوانين مجمع انقوره وهي ثلثة وعشرون قانوناً ٤٦ في قوانين مجمع قيصرية الحديثةوهي خمسة عشر قانوناً ٤٧ في قوانين مجمع كنكرا وهي عشرون قانوناً ٤٨ في قوانين مجمع انطاكية وهي اربعة وعشرون قانوناً ٤٩ في قوانين مجمع اللاذقية وهي تسعة وخمسون قانوناً ٥٠ في قوانين مجمع قسطنطينية وهي اربعة قوانين ٥١ في قوانين المجمع الخلكيدوني وهي سبعة وعشرون قانوناً ٥٢ في قانون المجمع الافسسي ٥٣ في مراسيم الملوك قسطنطين وتوادوسيوس ولاون وهي مئة واربعون مرسوماً . واردف السمعاني هذا الفهرست بقوله

« وهو كتاب عربي خط بالاحرف السريانية على رق بقطع الربع صفحاته ٢٩٥ وكان خطه ١٧١٣ لاسكندر توافق سنة ١٤٠٢ للميلاد وقد ذكر السمعاني ايضاً المطران داود وكتابه في المجلد الثاني من المكتبة الشرقية صفحة ٦٧ حيث تكلم في يعقوب البردعي فقال « ذهب المطران داود الماروني في كتابه في القوانين وهو السادس والسبعون من الكتب العربية في المكتبة الواتيكانية الى انه سمي البردعي نسبة الى مدينة اسمها البردعة وهاك قوله في الفصل الاول « ثم اليعقوبية وهي المنسوبة الى يعقوب الذي كان من مدينة تدعى البردعة ولذلك يقال له يعقوب البردعي » وهذه المدينة ذكرها مؤلف جغرافية بلاد النوبة واورد نيرون الباني قوله في كتابه افوبايا (سلاح) الايمان صفحة ٤٢ على ان بردعة بنيت بعد يعقوب البردعي بزمان طويل اعني نحو سنة ٧٠٥ في ايام عبد الملك بن مروان على ما روى جلال الدين الاسيوطي في تاريخ الخلفاء على ما في الكتاب السادس والاربعين من الكتب العربية في المكتبة الواتيكانية صفحة ٨٠ حيث قال « في سنة ٨٥ هـ بنيت مدينة اردبيل ومدينة بردعة بناهما عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي» انتهى كلام السمعاني في المحل المذكور واذ تكلم في صفحة ١٨١

من المجلد المار ذكره في عدد البرشانات على عادة اليعاقبة ان تكون وتراً لا شفعاً الا في البرشانتين قال « قد اعترض توما من بيانسيا (في مؤلفه في الاهتمام برجوع جميع الامم ك ٧ فصل ٦ صفحة ٤٩٩) على الموارنة بان لديهم شيئاً من هذه العادة وقال الاب اليان اليسوعي انه وجد اثراً لذلك في كتاب الهدا (هو كتاب المطران داود) على ان العلامة البطريرك اسطفانس الدويهي الشهير قد اوضح (في احتجاجه عن الموارنة احتجاج ٦ فصل ٢) ان هذا الظن او التخمين باطل ولا صحة له »

ان توما اسقف كفرطاب الذي اشرنا الى شيء من اخباره في كلامنا على تاريخ الموارنة في القرن السابع وذكرنا انه اتى الى لبنان سنة ١١٠٤ ليستغوي الموارنة ببدعة المشيئة الواحدة وانه ترجم كتاب القديس يوحنا مارون في الايمان وعبث به محرفاً اياه وزائداً عليه ما يوافق غرضه فتوما هذا قد عبث بكتاب المطران داود المذكور ايضاً وعثا بادخال زيادات عليه وتحريفه له توسلاً لغرضه المذكور وقد اثبت العلامة البطريرك اسطفانس الدويهي (في الفصل السادس من كتابه في الاحتجاج عن الموارنة صفحة ٣٤٠ من كتاب تاريخ الموارنة المطبوع في بيروت) ان توما الكفرطابي المذكور زاد على كتاب المطران داود القول التابع « ان اول فرقة ظهرت من الفرق المشهورة هي الفرقة المنسوبة الى آريوس وهي التي تدعى آريوسية ثم النسطورية وهي المنسوبة الى نسطور ثم اليعقوبية وهي المنسوبة الى يعقوب البرادعي ثم الملكية وهي المنسوبة الى مكسيمس المخالف الذي كان من ذرية السمرة وابوه كان اسمه زادوق وكان يهودياً وامه جارية عجمية كما تقدم عنه الوصف في الكتاب الكبير وخبره مؤرخ في كتاب سعيد بن بطريق ثم المارونية وهي المنسوبة الى دير مارون والى الاب القديس الطاهر ماري يوحنا بطريرك انطاكية » الى ان قال « وقد ذكرت خبرها بين

الفرقتين الملكية والمارونية وشرحت بيان حالها شرحاً شافياً في الرسالة التي كتبتها الى الاب القديس ارسانيوس اسقف عين قوره وسميتها رسالة العدل . . . وثبتت هذه الفرق اربعاً على ان الفرقتين الملكية والمارونية اللتين ذكرناهما انما هما فرقة واحدة ورائهما في الاتحاد والجوهر الاقنومي راي واحد وانما اختلفتا بالمشيئة فقالت الملكية بالمشيئتين وقالت المارونية بالمشيئة الواحدة واحتجت كل واحدة منها بحجج وقد ذكرنا حالها وحججها التي اوجبت الخلاف بينهما في الرسالة الموسومة ببداية العدد » فهذه هي الزيادة التي ادخلها توما اسقف كفرطاب على كتاب المطران داود في العنوان في الايمان وقد حج الموارنة خصومهم بهذه الزيادة كان مطرانهم داود كتبها

على ان العلامة الدويهي وغيره قد اثبتوا بحجج قاطعة وبينات دامغة ان هذا الكلام كلام توما الكفرطابي وليس كلام المطران داود واليك بعض تلك الحجج اولها ان ارسانيوس اسقف العاقورة التي يقول الكاتب انه ارسل اليه رسالته المسماة رسالة العدل لم يكن في ايام المطران داود بل بعده بسنين في اوائل القرن الثاني عشر اذ كان توما الكفرطابي في لبنان وقد صرح توما في كتابه الموسوم بالمقالات العشر انه كتب رسالة مطولة الى ارسانيوس اسقف العاقورة يبين فيها معتمدًا على تواريخ ابن بطريق ان اعتقاد المشيئة الواحدة كان راي معلمهم مارون وراي الآباء وان الموارنة لا يفترقون عن الملكية الا بهذا ومثل ذلك الرسالة التي قال الكاتب انه بين فيها حال الموارنة والملكية وحججهما فانما هي لتوما الكفرطابي واثارها باقية في كتابه المقالات العشر وليست للمطران داود . الحجة الثانية ان توما الكفرطابي قد صرح في كتابه المذكور بانه لم يقدم الى لبنان الا ليصحح معتقد الموارنة ايؤمنوا بان في المسيح مشيئة واحدة وجل كلامه في الكتاب المذكور موجه لهذا الغرض وقد بذل جهده في رسالته الى ارسانيوس

اسقف العاقورة ليثبت زعمه هذا مستدلاً باقوال سعيد بن البطريق بان هذا كان معتقد مارون والموارنة فان كان الموارنة قد اعتقدوا قبله ببدعة المشيئة الواحدة وبهذا افترقوا عن الملكية وكان هذا معتقد اسقفهم داود في كتاب قوانينهم فلِمَ هذا التعب والنصب والعناء لتصحيح عقيدتهم ولِمَ ندب توما سوء منقلبه وخسارة اتعابه واوقاته اذ قاومه بطريرك الموارنة وعانده ارسانيوس اسقفهم ولم يذعن لكلامه الا خوري قرية فرشع ونفر ببلاد جبيل وكيف يوفق بين هذا وبين ما يرويه عن المطران داود ان طائفته لا تفترق عن الملكية الا باعتقادها المشيئة الواحدة خلافاً لهم . الحجة الثالثة ان ما ورد في الزيادة المذكورة على كتاب المطران داود عن القديس مكسيمس انما هو كلام سعيد ابن بطريق بحروفه انتحله عنه توما الكفرطابي الذي جعل سعيد عمدة له في كتابه المقالات العشر ولم يذكر هذه الخرافة عن ابي القديس مكسيمس وامه الا سعيد المذكور

وقد اثبت السمعاني العلامة ان ما علق على النسخة الواتيكانية من كتاب المطران داود انما هو رقعة ادخلها عليه توما الكفرطابي فانه في كتابه فهرست الكتب القديمة الشرقية في المكتبة الواتيكانية الذي الفه بمعاونة المطران اسطفان عواد السمعاني ابن اخته قال في الكتاب ١٣٣ (هذا العدد وضعه السمعاني لكتاب المطران داود في المكتبة الواتيكانية بعد ان كان في عد ٧٦ من الكتب التي احضرها من المشرق) « ان البطريرك الانطاكي اسطفانس (الدوهي) علق حاشية على هامش هذا الكتاب صفحة ٢٥ ابان فيها ان توما الكفرطابي ادخل على هذا الكتاب اشياء كثيرة ليثبت بدعة المشيئة الواحدة والفعل الواحد في المسيح » ثم روى تلك الزيادة كما رويناها وقال « ليس هذا كلام المطران داود بل كلام توما الكفرطابي فان كاتب الرسالة الى ارسانيوس (اسقف العاقورة) انما هو توما

لا داود فالواضح اذاً ان هذه الزيادة على كتاب القوانين للمطران داود ادخلتها يد توما الكفرطابي المذكور »

ولنا حجة اخرى قاطعة تبين ان تلك الزيادة مدخلة على نسخة كتاب المطران داود التي في المكتبة الواتيكانية وليست من كلام المطران المذكور فان النسخ الاخرى لهذا الكتاب خالية عن هذه الزيادة بل تشتمل على ما يناقض ذلك منها النسخة التي كانت في مكتبة مدرسة الموارنة برومة وقد تداولتها يد القس مرهج بن نيرون الباني واخذ عنها (في مقالته في اصل الموارنة واسمهم ودينهم صفحة ٨٩) شهادة المطران داود حيث يقول « ان الملكية يتفقون مع الموارنة باعتقادهم المشيئتين فان الموارنة يثبتون ان في المسيح مشيئتين تبعاً لطبيعتيه الالهية والبشرية » وقد اثبت ذلك دي لاروك في كتاب رحلته الى سورية ولبنان فقال (في المجلد الثاني صفحة ٩١ رادّاً زعم غوليلمس اسقف صور) وبثبت بطلان شهادة غوليلمس شهادة مطران سوري عالم اسمه يوسف (هذا سهو من المؤلف او خطاء من منظم حروف المطبعة ويصلحه قوله الثاني) كان عايشاً سنة ١٠٥٩ كما يظهر من رسالة كتبها الانبا يوسف تلك السنة الى المطران المذكور يسأله بها ان يترجم من السريانية الى العربية كتاب القوانين اليعية الذي عند السريان وهذه الرسالة معلقة على فاتحة كتاب القوانين المذكورة ومنه نسخة محفوظة في مكتبة مدرسة الموارنة برومة وترى في الفصل الاول من هذه القوانين الشهادة الآتية التي ترجمناها عن الاصل العربي « ان الملكية يتفقون مع الموارنة باعتقادهم المشيئتين فان الموارنة يثبتون ان في المسيح مشيئتين » الخ .

قال مرهج بن نيرون (الباني الماروني) كيف يصح اذاً ما قاله غوليلمس الصوري عن الموارنة في سنة ١١٨٤ من ان هذه الطائفة تسكنت نحواً من خمس مئة سنة في ضلال مبدع اسمه مارون مع ان المطران المذكور يشهد شهادة تنقض كل

ذلك اعني ان الموارنة كانوا في سنة ١٠٥٩ التي ترجم فيها الكتاب المذكور يجاهرون باعتقادهم ان في المسيح مشيئتين » انتهى كلام دي لاروك

طالع ما كتبته في هذا الشان في كتابي روح الردود من صفحة ١٠٠ الى صفحة ١٢٢ من الطبعة العربية ببيروت ومن صفحة ٩٥ الى صفحة ١١١ من ترجمته الافرنسية المطبوعة في اراس سنة ١٨٩٦

مقالة خامسة

﴿ في تاريخ الموارنة في القرن الثاني عشر ﴾

﴿ عدد ٣١ ﴾

﴿ في حالتهم الدنيوية في هذا القرن ﴾

ذكرنا في تاريخ الموارنة في القرن الثامن عدد ٢٢ ان حام الخلفاء وصعوبة مسالك لبنان وتعذر احراز الثروة فيه جعلت الموارنة سكانه في مأمن من السطو عليهم والمزاحمة لهم على ارضيه وانه يظهر ان الخلفاء كانوا يولون عليهم ولاة مسيحيين وايدنا ذلك بشهادة العلامة السمعاني في مؤلفه مكتبة الناموس (مج ٤ صفحة ٣٩٤) والان نقول يظهر ان الموارنة سكان لبنان استمروا على ذلك الى هذا القرن وما بعده ايضاً متنعمين بنوع من الاستقلال الاداري بفضل الخلفاء ولما اتى الفرنج وملكوا السواد الاعظم من سورية لم ينزعوا عنهم هذه النعمة بل تركوهم واستقلالهم المذكور وهذا توكده لنا ادلة كثيرة قاطعة فلم نعثر في كل ما قلبناه من كتب التاريخ لاخذ تاريخ الخلفاء ما يؤذن بان الخلفاء نصبوا عاملاً على لبنان او على مدنه غير الساحلية فقد ذكروا متواترًا عمال النواحي كاطرابلس

وجبيل وبيروت وصيدا وحماه وحمص وبعلبك ولكن لم نرَ ذكرًا لعامل في لبنان او احدى مدنه او قراه الجبلية بل لم نجد اثرًا لاقامة المسلمين في انحائه الا بعد اواخر القرن الثالث عشر ولا في سواحله او ما يقرب منها كاقامة امراء الغرب من آل تنوخ في عمل الغرب القريب من بيروت فان الملوك والامراء المسلمين اقاموا في مدة حربهم مع الفرنج هؤلاء الامراء في العمل المذكور وبعد طردهم الفرنج من هذه البلاد اسكنوا عشائر من المسلمين في سواحل لبنان ليكونوا حاجزًا بين نصارى لبنان وبين الفرنج اذا عادوا الى سورية كما سيأتي

ولما فتح الفرنج سورية وملكوا مدنها الساحلية لم يعترضوا النصارى سكان لبنان في تدبير امورهم الداخلية ولم يمسوا ما كانوا عليه من الاستقلال فلا نراهم نصبوا عاملاً على غير المدن الساحلية ولا الفينا ما يدل على انهم حاربوا سكانه او ان سكانه استسلموا اليهم او تركوا لهم تدبير شؤون بلادهم كما لا نرى ان الحكام المسلمين استعانوا بهم على حرب الفرنج او جندوا قومًا منهم لمحاربة الفرنج ولو كانوا يلونهم كغيرهم من سكان السهول والمدن البحرية لما اهملوا تكليفهم الى انجادهم في حروبهم كما كانوا يصنعون مع باقي مسوديهم بل لو كان للولاة المسلمين الولاية المطلقة على سكان الجبل لما استطاع الفرنج ان يتمكنوا في اطرابلس وجبيل وبيروت وصيدا لاكتناف الجبل هذه المدن ومن عرف موقعها قضى بما نحن مثبتون

وقد جاء في كتاب تاريخ الموارنة المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٠ (صفحة ٢٧٩) ذكر امراء لبنان مع تعيين اسمائهم وسني ولايتهم نقلاً عن رسالة للخوري يوسف مارون الدويهي الاهدني فلا يمكن القطع بصحة هذه الرواية ولا سيما في تعيين الاسماء والسنين لان صاحب الرسالة لم يسند ما كتبه الى احد المؤرخين او احد الكتب القديمة وغموض التواريخ في تلك الحقبة معلوم مشهور فيتعذر

على كاتب ان يحقق هذه الاسماء وهذه السنين واذا كان العلماء لم يستطيعوا ان يعرفوا اسماء بعض البطاركة وسني رياستهم في تلك القرون فلا يظن انه كانت وسيلة للعلم باسماء امراء منزوين في جبل وبسني ولايتهم . ولكن بقاء حكام او امراء في لبنان في تلك السنين لا ريبة فيه وكل ما مر آنفاً يؤيد ان هؤلاء الامراء كانوا وطنيين ولنا شهادة قاطعة على انه كان في لبنان في القرن الثاني عشر ملك او امير ماروني في جبيل وهذه الشهادة كتبها البطريرك ارميا العمشيتي بخط يده على كتاب الاناجيل الاربعة الذي خط سنة ٨٩٧ يونانية الموافقة لسنة ٥٨٦ للميلاد وكان هذا الكتاب في بطريركية الموارنة في ايام البطريرك ارميا المذكور ثم اتصل الى المكتبه المادیشية في فيرنسا بايطاليا وذكره العلامة المطران اسطفان عواد السمعاني في الفهرست الذي وضعه للكتب الشرقية في هذه المكتبة وقد صنع مثالاً للكلمات نفسها التي خطتها يد ارميا بالسريانية وسنذكرها عند الكلام فيه ونجتزئ الان بذكر ما خص غرضنا منها فانه بعد ان ذكر دعوة البطريرك له وتصييره اسقفاً في دير كفتون قال « وبعد مضي اربع سنين طلبني ملك (اي امير) جبيل والاساقفة ورؤساء الكنيسة والكهنة والقوا قرعة فاصابتني و قاموني بطريركاً في دير حالات » فامير جبيل الذي دعا اسقفاً مارونياً وشهد انتخابه بطريركاً لا يمتري في انه ماروني

وزى لويس التاسع ملك افرنسة لما كان في عكا في اواسط القرن التالي كتب في رسالته الى الموارنة « الى امير الموارنة بجبل لبنان والى بطريرك واساقفة الطائفة المذكورة » وصرح في رسالته بان الامير سمعان اتى اليه وقدم له هدايا فاخرة بل قد صرح البابا بناديكتس الرابع عشر في خطبته في كرادلة الكنيسة الرومانية في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤ بانه لما ملك المسلمون انطاكية وطردوا الافرنج منها ولىّ هولاء فادين الى جبل لبنان فقبلهم بطريرك الموارنة بالايناس والترحاب

فكتب اليه البابا اسكندر الرابع يشكر له صنيعه ولم تزل براءة البابا اسكندر الرابع التي اشار اليها باديكتس الرابع عشر محفوظة في خزانة اوراق بطريركية الموارنة حيث يوصيه بهولاء الفرنج ويخوله الحق ان يسوسهم كشعبه فلو لم يكن للموارنة حينئذٍ نوع من الاستقلال لما هرب الافرنج اليهم ولا استطاع بطريرك الموارنة ان يقبلهم ويضمهم الى شعبه وسوف نرى شيئاً كثيراً يثبت ذلك

عـد ٣٢

في بطاركة الموارنة في القرن الثاني عشر

لما قدم الفرنج الى سورية في اخر القرن الحادي عشر كان يوسف الجرجسي بطريركاً على الموارنة ولا نعلم في اية سنة قبل ذلك رقي الى هذا المقام بل علمنا انه لما فتح الفرنج اورشليم واقاموا غودفروا ملكاً عليهم واختاروا بطريركاً لاتينياً على اورشليم ارسلوا رسائل ووفداً الى الحبر الروماني البابا اوربانس الثاني يبشرونه بما وفقهم الله اليه وارسل يوسف الجرجسي مع وفدهم نائباً عنه ورسالة الى الحبر الروماني يحقق بها طاعته له وتشبثه بالايمان الكاثوليكي فبلغت هذه الرسائل الى البابا بسكاليس الثاني لان سالفه البابا اوربانس الثاني كان قد توفي قبل فتح اورشليم باربعة عشر يوماً فسر البابا بسكاليس بهذه الرسائل والوفد سروراً عظيماً وارسل الى بطريرك الموارنة تاجاً وعكازاً روى ذلك الاسقف جبرائيل اللحفدي المعروف بابن القلاعي في رسالة كتبها الى البطرك سمعان الحدثي سنة ١٤٩٤ ومرهج بن نيرون الباني في كتابه (افوبليا) سلاح الايمان صفحة ٦٧ واورد لكويان قوليهما في المشرق المسيحي (مجلد ٣) في كلامه على بطاركة الموارنة وكان هذا البطريرك ساكناً في يا نوح من عمل جبيل

وروى لكويان في المحل المذكور ما رويناه في كلامنا على توما اسقف كفرطاب انه كان يعقوبياً وصار من اصحاب بدعة المشيئة الواحدة وتى الى لبنان

قاصداً ان يستغوي الموارنة وانه قام لمناصبته يوسف بطريرك الموارنة وارسانيوس مطران العاقورة وفندا تعليمه برسائلهما فرذله الجميع ولم يضلل الا خوري كفرشع وبعض المغفلين الى ان قال لكويان ان هذا البطريرك بقي حياً الى سنة ١١١٩ هذا اذا كان هو الذي كتب رسالة الى البابا جيلاسيوس الثاني يهنئه بها بارتقائه الى الحبرية العظمى ولما كان البابا جيلاسيوس لم يعش الا زماناً وجيزاً (سنة وخمسة اشهر) جاوبه البابا كاليستوس الثاني على رسالته سنة ١١١٩ كما روى ابن نيرون الباني في كتابه سلاح الايمان صفحة ٦٨ وربما كان البطريرك بطرس خليفة يوسف المذكور هو الذي كتب هذه الرسالة

وصير بعد البطريرك يوسف الجرجسي البطريرك بطرس الاول ولا شك في انه كان بطريركاً على الموارنة سنة ١١٢١ لان الكتاب السابع من الكتب السريانية المخطوطة التي نقلها السمعاني الى المكتبة الواتيكانية علق كاتبه على صفحة ٢٦٣ منه هذه الحاشية بالسريانية وترجمتها « انا الحقير الراهب سمعان كتبت هذه الاسطر في هذا الكتاب الذي نسخته لابينا الطوباوي بطريركنا مار بطرس بطريرك الموارنة الساكن بدير ميفوق المقدس في وادي ايليج من عمل البترون الى ان امرني ان اكون رئيساً وناظراً على دير القديس يوحنا في ارض كوزبند بجزيرة قبرس في ايام الرهبان الساكنين في دير القديس يوحنا المذكور وهذه اسماؤهم الراهب داود القس موسى الراهب يوسف النحتومي والراهب جيودجيوس والراهب دانيال وهؤلاء كهنة يخدمون الله وكان ذلك سنة ١٤٣٢ يونانية (سنة ١١٢١ م) في اليوم الثاني عشر » يريد من تشرين الاول الذي كان السريان يبتدأون السنة منه ذكر ذلك السمعاني في المجلد الاول من المكتبة الشرقية صفحة ٣٧٠ ثم ذكره صفحة ٦١١ و٦١٢ من المجلد المذكور

وقد ذكر الدويهي في تاريخه البطريرك بطرس هذا فقال « وفيها (اي في

سنة ١١٢١) كان البطرك بطرس قاطناً في دير سيدة ميفوق من اعمال البترون ويبعث الرهبان القاطنون بدير مار يوحنا كزبند يخبرونه بوفاة رئيسهم ويسألونه ان يراس عليهم القس سمعان الذي كان كاتباً عند قدسه وله اليد الطولى في الخط وفي تزويق التصاوير كما هو واضح من كتاب ميامر مار يعقوب السروجي الذي كتبه بخط استرنكالي على رق وهو مصان عندنا بدير سيدة قنوبين » انتهى كلام الدويهي ويظهر منه ان هذا الكتاب الذي كان في قنوبين نقله السمعاني الى المكتبة الواتيكانية

وخلف غريغوريوس الثالث من حالات بطرس الاول وقد ذكره الاسقف جبرائيل القلاعي في رسالته الى البطريرك سمعان الحدثي ومرهج بن نيرون الباني في كتابه سلاح الايمان وقال انه ارسل سنة ١١٣٠ وفداً الى البابا اينوشنسيوس الثاني يهنئه بارتقائه الى الحبرية العظمى ولما ارسل هذا البابا الكردينال غوليلمس الى المشرق بسبب الخلاف الشهير الذي كان حينئذٍ اذ غصب البابوية بطرس لاون وسمى اناكليتس الثاني التقي البطريرك غريغوريوس الكردينال غوليلمس الى اطرابلس وقدم صك طاعته للبابا اينوشنسيوس الثاني البابا الشرعي وقد ذكر ذلك البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخه فبعد ان اورد خبر هذا الخلاف ورجوع الاكثرين الى طاعة البابا الشرعي واقتداء الفرنج الذين بسورية بهم قال « وعلى شبه من تقدم ذكرهم نزل رؤساء الملة المارونية وعلماؤها الى مدينة اطرابلس وعلى يد الكردينال غوليلمس قاصد البابا زخيا (اينوشنسيوس) حلفوا له الطاعة واعطوه خطوط ايديهم انهم لا يتمسكون بغيره ولا يكرزون الا باسمه»

وصير بعد غريغوريوس الثالث الحالاتي يعقوب الاول من رامات ببلاد البترون وقد روى العلامة السمعاني (في المجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٣٠٧) انه علق على احد كتب القديس يعقوب السروجي (وهو السابع من الكتب

السريانية التي نقلها السمعاني الى المكتبة الواتيكانية) هذه الحاشية بالعربية « لما كان تاريخ سنة ١٤٥٢ يونانية (توافق سنة ١١٤١ م) في شهر تموز المبارك بعشرة ايام مضت منه حضر الى عندي انا بطرس بطريرك الموارنة الجالس على الكرسي الانطاكي باسم يعقوب من قرية رامات من عمل البترون الولد الراهب دانيال من رهبان دير كفتون وقد اعطيته سلطان من الله ومن حقارتي بانه يكون رئيساً ومديرًا على دير مار يوحنا الكوزبند في جزيرة قبرس المحروسة من الله تعالى بحسب ما ورد من الاولاد الرهبان واولهم الراهب عيسى واليا والراهب موسى والراهب يوحنا واخاه يعقوب برضاهم وخاطرهم وخط ايديهم ولربما المجد امين » وقال البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخ سنة ١١٤٠ « وفيها كانت وفاة الرجل الفاضل القس سمعان رئيس دير مار يوحنا الكوزبند بقبرس وارسل لهم بدله البطريرك يعقوب من رامات من عمل جبيل القس دانيال من رهبان سيدة كفتون الدي في كورة اطرابلس ومن بعد يعقوب الراماتي رقي الى الكرسي البطريركي يوحنا السابع سنة ٥٠ ، وقد ولد في لحفد من عمل جبيل وسكن اولاً في دير مار الياس في قريته ثم انتقل الى دير السيدة بهايل واقام هناك ديرًا ، ووصفه الدويهي في تاريخ بطاركة الموارنة بانه كان ذا مكارم وفصاحة كما يظهر من الماثور الذي كتبه وانه في مدة اقامته بلحفد رقي اربعة اساقفة لمعاونته على تدبير الشعب فسكن احدهم في دير القديس حوشب والثاني في دير القديس سمعان والثالث في دير القديس اليشاع والرابع في دير السيدة بلحفد وانه لما كان عيد العنصرة حضر اليه شعب كثير ومعهم شمامسة وكهنة ورهبان ورؤساء كهنة فانتقل من ديره الى دير السيدة الذي فوق هايل حيث لم يكن ماء فحفر بئرًا وانشأ ديرًا كبيرًا وقد جاء في الآثار القديمة وفي الرسالة التي كتبها جبرائيل بن القلاعي الى القس جرجس بن بشاره في الفصل الحادي عشر ان

دير هابيل المذكور استمر كرسياً لبطاركة الموارنة الى ايام البطريرك ارميا الا اننا لم نعثر على اسماء هؤلاء البطاركة الذين اقاموا به لنثبت ذكرهم انتهى كلام الدويهي وقد وجد مكتوباً على كتاب الاناجيل القديم الذي كان في بطريركية الموارنة ثم نقل الى المكتبة المادبشية بفيرنسا وذكر المطران اسطفان عواد الخطوط المعلقة عليه في كتابه فهرست هذه المكتبة فقال انه كتب على صفحة ١٨ سطر٢٣ وما يليه ما يأتي بالعربية « لما كان تاريخ سنة ١٤٦٥ يونانية توافق سنة ١١٥٤ م) ثامن يوم مضت من شهر ايلول حضر الى عندي انا بطرس بطرك الموارنة الجالس على الكرسي الانطاكي القاطن بدير سيدة ميفوق في وادي ابليج الولد الراهب اشعيا من دير قزحيا وعملته رئيس على الرهبان القاطنين في دير مار يوحنا دير الكوزبندو في جزيرة قبرس حسبما ورد من الاولاد الرهبان بخط ايديهم وهم الولد الراهب جبرائيل ورفيقه الراهب شمعون والراهب حبقوق والراهب ميخائيل وللرب المجد امين » فبطرس هذا هو يوحنا اللحفدي المذكور ويظهر ان بطاركتنا كانوا منذ تلك الايام يزيدون على اسمهم بطرس ويظهر ايضاً انه كان يقيم بسيدة ميفوق ايضاً . وقد ذكره السمعاني (في المجلد الاول من المكتبة الشرقية صفحة ٥٢٢) وقال انه ولد في لحفد وانه خلف البطريرك يعقوب الراماتي وانه دبر الكنيسة المارونية من سنة ١١٥١ الى سنة ١١٧٣ وانه كتب نافوراً ذكره البطريرك اسطفانس الدويهي في كتابه المنائر العشر في الفصل الثاني في مؤلفي النوافير الكاثوليكيين فقال « يوحنا اللحفدي الذي جلس على الكرسي الانطاكي بعد الالف والماية من سني السيد المسيح له نافور بدؤه [redacted] ايها الاله الكلي القداسة وهو مثبت في كتب القداس الموجودة في دير قنوبين

ان البطريرك اسطفانس الدويهي ذكر بعد البطريرك يوحنا اللحفدي البطريرك

ارميا العمشيتي لكن قال ما رويناه انفاً ان دير هابيل استمر كرسياً لبطاركة الموارنة الى ايام البطريرك ارميا الا اننا لم نعثر على اسماء البطاركة الذين اقاموا هناك لنذكرهم فظهر انه كان بين يوحنا اللحفدي وارميا العمشيتي بطاركة اخرون ولكويان في كلامه على بطاركة الموارنة جعل يوحنا اللحفدي الثامن والعشرين منهم ثم وضع الاعداد ٢٩ و٣٠ و٣١ وبعدها بياضاً لانه لم يهتدِ الى اسماء ثلاثة بطاركة ثم ذكر لوقا ايضاً قبل ارميا . وقال المطران اسطفانس عواد السمعاني في فهرست المكتبة المادبشية صفحة ١٦ متكلماً في كراسي بطاركة الموارنة » رابعاً في دير القديس الياس بلحفد من ابرشية جبيل حيث جلس يوحنا اللحفدي خليفة يعقوب وهو الذي نقل الكرسي الى دير القديسة مريم بهابيل من ابرشية جبيل المذكورة وهناك جلس بطرس وبطرس الاخر ولوقا المسمى بطرس . خامساً نقل الكرسي البطريركي ثانية الى دير القديسة مريم بيانوح من ابرشية البترون حيث جلس ارميا » ولا اشك البتة في انه كان بين يوحنا اللحفدي وارميا العمشيتي بطاركة اخرون وعلى ذلك دليل قاطع غير ما مر من شهادة المؤرخين فقد ذكر السمعاني وغيره ان يوحنا اللحفدي توفي سنة ١١٧٣ كما رايت وان ارميا توفي سنة ١٢٣٠ فلو كان ارميا خلف يوحنا للزم ان يكون ارميا استمر بطريركاً سبعاً وخمسين سنة وهذا لا يصدق ومما لا ريب فيه ان ارميا العمشيتي شهد المجمع اللاتراني الرابع سنة ١٢١٥ وان البابا اينوشنسيوس الثالث كتب اليه براءته المثبتة في سجلات البراءات تلك السنة فلو كان قد صير بطريركاً سنة ١١٧٣ لكان له في البطريركية حينئذٍ اثنتان واربعون سنة فان فرضنا انه صير بطريركاً وعمره اربعون سنة فقط فيكون عمره سنة ١٢١٥ اثنتين وثمانين سنة ومن يصدق ان هرماً بهذا العمر يتحمل مشاق السفر في تلك الايام الى رومة فاذاً لا بد من ان كان بطاركة اخرون بين يوحنا اللحفدي وارميا العمشيتي فهلم ننظر ما يقوله

المؤرخون في ذلك

قال لكويان في المشرق المسيحي (متكلماً في بطاركة الموارنة) روى مرهج بن نيرون الباني في مقالته في اسم الموارنة واصلهم ودينهم نقلاً عن جبرائيل بن القلاعي في قصيدته في اصحاب البدع ان من اتبعوا ضلال توما اسقف كفرطاب (الذي كان قد توفي) اطغوا غيرهم من الموارنة ببدعة المشيئة الواحدة وتوافر عدد المطغين حتى ان البطريرك نفسه لم يذكر اسمه جنح الى ذلك فان ابن القلاعي يقول ما معناه انه بعد توما قام ابن شعبان واخذ يكتب ويعلم الاحداث ويبذر الضلال بين الموارنة وملأ كتبهم من الزوان وقام بعده ابن حسان من حدشيت واطغى اهل كفر ياشيت وكتب وغير الصلوات وانبث سم الضلال في قرى اخرى حتى اتصل الى الراس ايضاً اذ قال « ان البطرك ابتلع السم بقدر ما يسع الفم » ولذلك اجتمع رؤساء الموارنة واعيانهم وكثيرون من الشعب وجزموا جميعاً براي واحد على ان ينفصلوا من شركة البطريرك فلم يعودوا يؤدونه الطاعة ولا يقبلونه في البلاد بل حملتهم الحمية والغيرة الدينية على انهم حطوه عن مقامه وانتخبوا بطريركاً اخر فخنق لذلك اصحاب البطريرك المعزول وقتلوا البطريرك الجديد وبعد قتل هذا البطريرك تعاظم الخلاف والشغب بينهم فتدارك امرهم ايميريكس البطريرك الانطاكي على اللاتين وسكن روعهم وخمد جذوة غضبهم ورد المغوين عن غيهم فاتفقوا جميعاً على انتخاب بطريرك صحيح المعتقد . قال لكويان هذا ما جاء في التاريخ المذكور « ايميريس ذا الذكر الصالح انتزع السم منهم وارشدهم فطاعوه واهتم بنيل البركة لهم من الكرسي الرسولي واختاروا بطريركاً سكن في هايل وحفظ كلما في الانجيل وكان ضليعاً في تفسير الاسفار المقدسة والف اشعاراً كثيرة في الايمان واختتم لكويان كلامه بقوله لا ريب عندي في ان هذا ما حمل غوليلمس اسقف صور على ما كتبه من ان الموارنة كلهم رجعوا عن الضلال

سنة ١١٨٢ على يد ايميريكس البطريرك الانطاكي مع ان هذا لا يصدق على الملة كلها بل على بعضها فقط ويؤيد ذلك ما جاء في التاريخ المذكور « انهم ثبتوا في ايمان مارون وذل المعاندون وعاد الوفاق والسلم ثابتين بين من كانوا مختلفين » وكان لكويان قد قال في مقدمات كلامه على الموارنة كما لم يعب افرنسة اتباع كثيرين من اكابرها واعيانها مذهب لوتارس وكلوينس هكذا لم يعب الملة المارونية اتباع بعض افرادها الضلال مدة ما

وبعد ايراد لكويان خبر هذه الاحداث ذكر لوقا الاول قائلاً ما خمدت جذوة الاضطراب بين الموارنة الا وقام رجل يسمى ابن شعبان رومي اصلاً وعاونه مطران اسمه عيسى فبثا الضلال في بعض قرى لبنان وكان البطريرك اسمه لوقا وكان في اخر القرن الثاني عشر او بد الثالث عشر فانحاز اليهما واستشهد لكويان لذلك نيرون الباني (في مقالته في اسم الموارنة صفحة ٩٨) الذي قال ان المطران عيسى وابن شعبان علما الناس ان يصنعوا اشارة الصليب باصبع واحدة ونبذا المجمع الرابع واوجس الشيطان الى راهبين احدهما من يانوح والاخر من دير نبوح فزعما ان المسيح لم تكن له نفس ولا تالم ولا كان يستطيع ان يشعر بالالام وان البابا ارسل قاصدًا لم يقبله البطريرك لوقا فحرم البابا اصحاب هذا الضلال ونشأ بين الموارنة شقاق بسبب ذيك الراهبين الى ان يقول لكويان ان هذا الشقاق استمر الى ان قام البطريرك ارميا خليفة لوقا المذكور انتهى

ان العلامة لكويان اعتمد في ايراد هذا الخبر وذكر البطريرك لوقا على قول نيرون الباني ونيرون اعتمد فيه على قول جبرائيل ابن القلاعي في بعض جزلياته على ان البطريرك اسطفانس الدويهي افرد الفصل التاسع من كتابه في رد التهم عن الموارنة لتفنيد قول ابن القلاعي المذكور مبيناً ان البطريرك لوقا من بنهوان لم يكن في القرن الثاني عشر او اول الثالث عشر بل في اخر القرن الثالث عشر او

اول الرابع عشر وانه لم يعب بضلال وان الحكام الذين ذكر ابن القلاعي ان هذه الاحداث كانت في ايامهم لم يكونوا في ذلك العصر بل بعده بسنين كثيرة وان جل مقصد ابن القلاعي كان ان يبين للمقدم عبد المنعم حاكم بشري الذي زاغ عن الايمان القويم وشايع اليعاقبة ان كل من شذوا عنه انتقم الله منهم فلم يرعَ نظام تاريخ السنين الى غير ذلك من الادلة القاطعة فضلاً عن ان ابن شعبان الذي ذكره لكويان هنا كان ذكره قبلاً وعن اننا سنبين ان ارميا المعشيتي كان بطريركاً في المدة التي عينها لكويان للبطريرك لوقا

قد افضل علينا العلامة المطران اسطفانس عواد السمعاني بنشره مثالاً لخط يد البطريرك ارميا عثر عليه في كتاب الاناجيل القديم الموجود الان في المكتبة الماديشية بفيرنسا وكان قبلاً في بطريركية الموارنة وطبع هذا المثال في كتابه فهرست الكتب الشرقية في المكتبة المذكورة ومنه يتبين زمان ارتقاء ارميا الى الاسقفية وسنة انتخابه بطريركاً والخط بالسريانية والاحرف المسماة استرنكلية وهذه ترجمته بحروفه

في سنة ١٥٩٠ يونانية في اليوم التاسع من شباط اتيت انا الحقير ارميا من قرية دملصا المباركة الى دير سيدتنا القديسة مريم بميفوق في وادي ايليج من عمل البترون الى سيدنا بطرس بطريرك الموارنة ورسمني بيديه المقدستين وجعلني مطراناً على دير كفتون المقدس الذي على ضفة النهر وبقيت هناك اربع سنين وكان سكان الدير المذكور الراهب حزقيال ورفيقه الراهب اشعيا والراهب دانيال والراهب يشوع ورفيقه اليا والراهب داود واثنين وثلاثين راهباً اخرين وبعد انقضاء السنين الاربع طلبني امير جبيل والاساقفة ورؤساء الكنائس والكهنة والقوا قرعة فاصابتني وصيروني بطريركاً في دير حالات المقدس ثم ارسلوني الى رومة المدينة العظمى وتركت اخانا المطران توادورس يدبر الرعية ويهتم بشؤونها »

ان في هذا الخط زلة قلم اما من الذي اخذ المثال او من ارميا الذي كتب الخط فسنة ١٥٩٠ يونانية توافق سنة ١٢٧٩ مسيحية وارميا كان قبل هذه السنة بنحو قرن ويكفينا مؤنة بيان هذا الغلط براءة البابا اينوشنسيوس الثالث المنفذة اليه باسمه مؤرخة في سنة ١٢١٥ وقد اجمعوا على انه شهد المجمع اللاتراني الرابع ولا يختلف اثنان في ان هذا المجمع عقد سنة ١٢١٥ وليس بين اسماء بطاركتنا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر اسم ارميا الا ارميا هذا ولذلك روى المطران اسطفان عواد في ترجمته هذه العبارة الى اللاتينية سنة ١٤٩٠ لا سنة ١٥٩٠ وذكر موافقتها لسنة ١١٧٩ لا لسنة ١٢٧٩ وعليه فلما كان ارميا رقي الى درجة الاسقفية سنة ١١٧٩ كما في صحيح الخط وقال انه انتخب بطريركاً بعد اربع سنين كان انتخابه بطريركاً سنة ١١٨٣ اي بعد حصول الوفاق بين الحزبين المختلفين من الموارنة بسنة واحدة او ببعض اشهر فقط لانه يحتمل ان يكون الوفاق حصل في اخر سنة ١١٨٢ وانتخاب البطريرك كان في اول سنة ١١٨٣ ولما كان راينا هذا مستنداً الى ما خطته يد ارميا قد اعتمدناه مفضلاً على غيره لهذا الاستناد

قال لكويان في المشرق المسيحي قال البطريرك اسطفانس الدويهي في الجدول الذي وضعه لبطاركة الموارنة ان ارميا ارتقى الى البطريركية سنة ١٢٠٩ وكان من عمشيت من عمل جبيل وكان رجلاً فاضلاً باراً ذا غيرة على الدين القويم اقام ببانوح ودخل رومة العظمى بنفسه وحضر المجمع الذي انعقد بلاتران في ايام البابا اينوشنسيوس الثالث وقال نيرون الباني في مقالته المذكورة صفحة ١٠١ انه عندما صير بطريركاً مضى الى رومة اغراه بذلك امير جبيل وترك المطران توادورس من كفرفو (بجبة بشري) نائباً له في البطريركية ليلتمس علاجاً للشؤون التي كانت في ايام سالفه وهذا يظهر ايضاً من براءة البابا اينوشنسيوس الثالث حيث يقول انه شهد المجمع اللاتراني ولما بلغ الى رومة خر على قدمي البابا

وكلمه متذللاً وساله بركته له واشعبه فعزاه البابا واجابه الى كل ما ساله وبقي هناك مسروراً خمس سنين وستة اشهر وروى ابن القلاعي والبطرك اسطفان الدويهي ان البطريرك ارميا كان يوماً يقدس بحضرة البابا ولما انتهى الى رفع القربان رفعه وبقي معلقاً فوق راسه فعظم البابا قداسته وامر بنقش صورة هذه الآية على جدار الكنيسة قال الدويهي بقيت هذه الصورة الى ايامنا في كنيسة القديس بطرس القديمة وبعد ان فرغ ارميا من مهامه برومة سال البابا ان يرخص له بالعود الى بلاده فخرج من رومة مبتهجاً طيب القلب لان البابا نوله كل سلطان طلبه وارسل معه الكردينال غوليلمس مفوضاً اليه ان يأخذ من شعب لبنان دستور اعترافهم بالايمان وكان خروج ارميا من رومة في ٣ كانون الثاني سنة ١٢١٥ (قال الكويان في حسابنا سنة ١٢١٦ لان المجمع اللاتراني عقد سنة ١٢١٥ وهو سافر في ٣ كانون الآخر) وبلغ الى اطرابلس في شهر اذار ولما علم المطران توادورس نائبة بخبر قدومه جمع جماً غفيراً من الموارنة ولم يبدوا شعائر سرورهم الا بعد ما بلغهم البطريرك بركة الحبر الروماني وانشأوا صكاً اثبتوا به بايمانهم واختامهم انهم متشبثون بايمان بطرس لا يزيغون عنه وسلموا ذلك الصك الى الكردينال غوليلمس وكان عدد من وقعوا عليه ميئتين وسبعين رجلاً وفي جدول بطاركة الموارنة الذي وضعه البطريرك الدويهي ان ارميا توفي سنة ١٢٣٠ في دير السيدة بميفوق انتهت رواية لكويان

وعندي في وفاة البطريرك ارميا سنة ١٢٣٠ نظر من قبل انه اذا كان صير بطريركاً سنة ١١٨٣ وهذا ثابت بخط ارميا نفسه فيكون استمر بطريركاً سبعاً وابعين سنة وهذا يصعب القطع به ولهذا ارى صيرورته بطريركاً سنة ١١٨٣ اثبت من ان وفاته كانت سنة ١٢٣٠ لان الاول مسنود الى خط يده واما الثاني فلا سند له كهذا ويضاده طول مدة بطريركيته والله اعلم . وقد اتحف البابا

اينوشنسيوس البطرك ارميا بتاج وعكاز وغيرهما من الملابس البيعية واخذ قدماؤنا منذ ذلك الحين يقتربون من عادات اللاتينية في الملابس الكهنوتية وغيرها كما حقق السمعاني في المجلد الرابع من مكتبة الناموس

﴿ عـد ٣٣ ﴾

﴿ في ما نعرفه من اديار الموارنة وكنائسهم الى اخر القرن الثاني عشر ﴾

لا نقصد ان نتكلم عن اديار الموارنة وكنائسهم القديمة مستندين الى قدمها بهيئة بنائها فهذا يستلزم معاينتها ولا حظ لنا في ذلك ويقتضي علم الاثار القديمة ولا مخبرة لنا فيه فكلامنا مقصور على ما ورد له منها ذكر في التواريخ

فاول اديار الموارنة الدير الذي بناه اهل حماة على ضريح القديس مارون بين حماه وحمص على العاصي وسمي دير البلور لحسن بنائه وكثرة الرهبان فيه حتى كان به ثمانماية راهب وكان اول الاديرة في سورية الثانية كما يظهر من توقيع رئيسه على العريضة التي رفعت الى البابا هرمزدا وعلى غيرها من العرائض المعلقة في ذيل اعمال المجمع الخامس وقد دك هذا الدير الملك انسطاس وقتل من رهبانه ثلثماة وخمسين راهباً لسبب مدافعتهم عن رسوم المجمع الخلكيدوني المقدس ثم جدد بناه الملك يوستنيانس الاول كما شهد بروكوب القيصري (في ك ٥ في ابنية يوستنيانس فصل ٩) وعاد مزهرًا برهبانه الى ان نفضته عساكر يوستنيانس الثاني الاخرم سنة ٦٩٤ وقتلوا من رهبانه خمس ماية راهب (طالع ما ذكرناه في تاريخ الموارنة في القرون الخامس والسادس والسابع) ويظهر ان هذا الدير جدد بعد ذلك واستمر الى القرن التاسع

والدير الثاني القديم للموارنة هو الدير الذي انشأه القديس يوحنا مارون بطريركنا الاول على اسم القديس مارون في شرقي كفرحي من عمل البترون ونقل اليه هامة القديس مارون وكرس كنيسته في الخامس من كانون الثاني وامر

ان يعيد للقديس مارون في ذلك اليوم واستمر الموارنة يعيدون له فيه قروناً وقد عاد البطريرك دانيال الشاماتي الى السكنى بهذا الدير في القرن الثالث عشر

والثالث دير السيدة العذراء في يانوح انشأه جبرائيل الثالث من بطاركة طائفتنا او خليفته يوحنا الثاني المعروف بمارون ايضاً واقام هناك بطاركتنا الى سنة ١١٢٠ ثم سكنوا في دير ميفوق ودير لحفد ودير هابيل الآتي ذكرها ثم عادوا الى دير يانوح حيث اقام ارميا العمشيتي والبابا اينوشنسيوس الثالث يسمي كنيسة السيدة في يانوح كنيسة البطريركية في براءته الى البطريرك ارميا المذكور ثم تركوا هذا الدير مدة وعادوا اليه فسكنه البطريرك شمعون الموجهة اليه رسالة البابا اسكندر الرابع مؤرخة في اول شباط سنة ١٢٥٦ وفيها ذكر الكنيسة البطريركية في يانوح

والرابع دير السيدة بميفوق وقد جاء في مجمعنا اللبناني (صفحة ٤٣١ من الطبعة الحديثة) انه استقر في هذا الدير البطريرك بطرس خليفة البطريرك يوسف الجرجسي وغريغوريوس الحالاتي ويعقوب الراماتي وقد ذكرنا في العدد السابق خطين مؤذنين باقامة البطريرك بطرس المذكور في هذا الدير سنة ١١٢١ وفي الدير المذكور الى الان آثار دالة على ذلك منها خط منبيء بتجديد الدير المذكور ومشير الى بنائه القديم وهو ܒܫܡ ܐܠܗܐ ܚܝܐ ܐܡܝܢܐ ܒܫܢܬ ܐܠܦܘ ܫܒܥܡܐ܀ ܐܪܒܥܝܢ ܘܫܬ ܗܘܐ ܒܢܝ ܬܪܝܢ ܐܚܐ ܟܗܢܐ ܐܡܘܢ ܘܡܢܝܥ ܘܗܘܐ ܠܒܢܝ ܒܢܝܢܐ ܦܛܪܝܪܟܐ ܐܪܒܥܐ ܦܛܪܘܣ ܘܐܪܡܝܐ ܘܝܥܩܘܒ ܘܝܘܚܢܢ ܒܫܢܬ ܐܠܦܐ܀ اي بسم الله الحي الدائم في سنة ١٧٤٦ جدد بناء هذا الهيكل اخوان كاهنان امون ومينع وكان قد انشأه اربعة بطاركة بطرس وارميا ويعقوب ويوحنا سنة ١١٢١ . وهناك خط اخر ذكره البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخه (صفحة ١١٣) ولم يزل موجوداً وهو ܒܫܡ ܐܠܗܐ ܚܝܐ

ܒܫܡ ܐܠܗܐ ܚܝܐ ܕܠܥܠܡ ܗܕܐ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫܬ ܡܐܐ ܘܫܒܥܝܢ ܘܬܡܢ ܫܢܝܢ ܒܫܢܝ ܝܘܢܝܐ ܗܝܟܠܐ ܗܢܐ ܫܡ ܡܪܝܐ ܘܐܬܒܢܝ ܥܠ ܝܕ ܐܒܐ ܐܝܣ ܚܛܐ ܕܐܘܕ ܩܫܝܫܐ ܘܡܪܩܣ ܘܝܘܚܢܐ ܐܡܝܢ ܐܡܝܢ ܐܡܝܢ ܣܠܝܒܐ ܟܬܒ ܚܘܠܗ ܒܟ ܢܩܗܪ ܐܥܕܘܢܐ ܘܒܫܡܟ ܢܬܕܠ ܡܒܓܥܝܢܐ ܘܗܢܐ ܕܚܛ ܢܪܐ ܒܗ ܟܠܡܬ ܡܥܕܡ ܒܕܠܐ ܡܢ ܟܠܡܬܗ ܗܝܟܠܐ ܗܢܐ ܕܝܥܩܘܒ ܐܚܕ ܒܪܟܐ ܗܘ ܬܠܝܬܝܐ ܡܢ ܒܪܟܐ ܐܪܒܥܐ ܗܢܐ ܕܒܚܛ ܩܕܡܝܐ ܘܗܢܐ ܕܒܚܛ ܬܪܝܢ ܬܒ ܠܗ ܒܪܟܬܐ ܗܢܐ ܝܥܩܘܒ ܘܕܢܝܐܠ ܚܕܫܝܬܝ ܘܠܘܩܐ ܒܗܪܢܝ ܘܫܡܥܘܢ ܘܝܘܚܢܐ ܘܓܒܪܐܝܠ ܡܢ ܚܓܘܠܐ ܕܬܘܦܝ ܫܗܝܕܐ ܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫܬ ܡܐܐ ܘܫܒܥܝܢ ܘܫܒܥ ܫܢܝܢ

ترجمة: بسم الله الحي الابدي في سنة ١٥٨٨ من سني اليونان (وهي سنة ١٢٧٧ م)، كمل بناء هذا الهيكل على اسم والدة الله صلاتها معنا على يد اباس خطاة داود القس ومرقس ويوحنا « وفي وسط هذا الخط صليب كتب حوله بك نقهر اعداونا وباسمك نذل مبغضينا والذي رواه الديري من هذا الخط نرى فيه كلمة ملمحما بدلاً من كلمته ܚܕܬܐ اي كمل هذا الهيكل المنسوب الى يعقوب احد البطاركة وهو الثالث من البطاركة الاربعة المذكورين بالخط الاول وقد ترك بطاركتنا السكنى بهذا الدير ثم عادوا اليه فاستقر به البطاركة يعقوب ودانيال الحدشيتي ولوقا البهراني وشمعون ويوحنا وجبرائيل من حجولا الذي توفي شهيدًا سنة ١٢٦٧

والخامس دير القديس الياس في لحفد من عمل جبيل استقر فيه البطريرك يوحنا اللحفدي خليفة البطريرك يعقوب الراماتي وقد مر في كلامنا على البطريرك يوحنا المذكور انه كان في لحفد اربعة اديار اخرى. دير القديس حوشب ودير القديس سمعان ودير القديس اليشاع ودير السيدة العذراء اقام بها اربعة اساقفة على ما في الرواية المذكورة

والسادس دير السيدة العذراء في هابيل انشأه البطريرك يوحنا اللحفدي بعد ان انتقل من لحفد الى هابيل في اواسط القرن الثاني عشر

والسابع دير القديس انطونيوس المعروف بدير قزحيا ويظهر ان هذا الدير قديم جدًا لانه جاء في براءة البابا اينوشنسيوس الثالث الى البطريرك ارميا في سنة ١٢١٥ ذكر دير قزحيا بمنزلة اول كرسي لاساقفة الموارنة لانه عند تعداده كراسي الاساقفة الخاضعين لبطريركيته ذكر دير قزحيا اولاً وكان بعض علمائنا

لترجمتهم كلام هذا البابا عن اللغات الاجنبية تصحف عليهم قزحيا بمار اسيا وتابعناهم على ذلك عند ذكرنا كلام هذا البابا في بعض كتبنا الى ان راينا العلامة السمعاني يسميه في كتاب المجمع اللبناني باللاتينية **nassaya** فانتهنا الى ان المراد قزحيا

وقد علق البطريرك بطرس وهو يوحنا اللحفدي على كتاب الاناجيل القديم الخط الذي ذكرناه في كلامنا في العدد السالف على هذا البطريرك منبئاً بانه حضر اليه سنة ١١٥٤ الراهب اشعيا من دير قزحيا ورأسه على دير الكوزبند في قبرس

الثامن دير القديس يوحنا في كوزبند بقبرس فهذا الدير قد جاء ذكره في عدة خطوط منها خط الراهب سمعان المعلق على الكتاب السابع من الكتب التي نقلها السمعاني من المشرق الى المكتبة الواتيكانية مبيناً فيه ان البطريرك بطرس الذي كان سنة ١١٢١ جعله رئيساً وناظراً على دير القديس يوحنا في كوزبند وقد ذكرنا هذا الخط بحروفه عند كلامنا على البطريرك المذكور ومنها الخط الذي علقه البطريرك يعقوب الراماتي على احد كتب السروجي ونحواه انه قد رأس دانيال راهب دير كفتون على دير القديس يوحنا بكوزبند سنة ١١٤١ وقد ذكرنا هذا الخط ايضاً بحروفه في كلامنا على البطريرك المذكور ومنها الخط الذي ذكرناه آنفاً المؤذن بتسمية البطريرك يوحنا اللحفدي اشعيا راهب دير قزحيا رئيساً على دير كوزبند

ومنها خط في القرن الثالث عشر علقه البطريرك يوحنا الجاجي على كتاب الاناجيل المذكور بالسريانية وهذه ترجمته « لما كانت سنة ١٥٥ يونانية (توافق سنة ١٢٣٩ م) انا بطرس بطريرك الموارنة الجالس على الكرسي الانطاكي والمسمى يوحنا من قرية جاج والساكن بالدير المبارك دير السيدة مريم بميفوق اتى الي من

دير الكوزبند التس المسمى متى وهو كاهن تقي بتول واخذ مني ثلث مئة دينار وحقاً للميرون للدير المذكور واخذ معه كتاب التوراة لموسى بالعربية وكتاب الناموس وكتاب الايمان ولله المجد امين »

التاسع دير كفتون وقد جاء ذكره في ما خطته يد البطريرك ارميا العمشيتي على كتاب الاناجيل المذكور سرارًا قال ان البطريرك بطرس رقاه الى الاسقفية على هذا الدير وان رهبانه حينئذٍ كانوا اثنين وثلاثين راهباً وفي الخط الذي علقه البطريرك يعقوب الراماتي المؤذن بانه راس دانيال راهب دير كفتون على دير كوزبند وهذا الدير الذي كان للموارنة انتقل في ما بعد الى يد الروم الملكيين غير الكاثوليكيين كما سوف ترى

العاشر دير القديس سرجيوس او سركيس في خردين قد استدللنا على قدم هذا الدير بخطوط علقت على كتاب الاناجيل وهو الثاني من الكتب السريانية التي ذكرها اسطفان عواد في كتابه فهرست المكتبة المارديشية وقال انه كتب قبل القرن التاسع وانه كان يخص قديماً افليمس رئيس الكهنة ثم انتقل الى وارثيه اولاده برصوما وسليمان وفيليبس وهؤلاء وقفوه على دير القديس سرجيوس في خردين من ابرشية طرابلس ثم انتقل الى دير القديسة مريم في يانوح ثم الى دير القديسة مريم بقنوبين كما يظهر من الخطوط المعلقة عليه فقد كتب عليه في الصفحة الاولى ما ترجمته « بقوة الله الحي القدوس انا عبد المسيح ارميا البطريرك وقفت هذا الكتاب وما تركه داود ويوسف لديري وقفاً موبداً وكل من اخذه منه كان ملعوناً من الله ومن كهنته » فيظهر ان داود ويوسف المذكورين كانا من الاقارب الادنين لارميا واوصيا عند احتضارهما بهذا الكتاب وما يملكان من حقول وكروم وغيرها فوقفها على ديره وقد كتب على هذا الكتاب ايضاً بخط البطريرك ارميا في الصفحة المذكورة « قد استراحت وانتقلت من هذه الحياة عالم الشرور

الى العالم الاخر المفعم بالسرور الراهبة المحصنة ابنة داود يوم الجمعة في السادس من تشرين الثاني سنة ١٥١١ لاسكندر (توافق سنة ١١٩٩) ويتبين من هذا الخط ايضاً ان ارميا صير بطريركاً سنة ١١٨٣ كما روينا سنداً الى خطه الاخر لا سنة ١٢٠٩ كما روى غيرنا وجاء بعد ذلك « قد استراحت الراهبة ساره بعد عشرة اشهر من تحصنها يوم الاحد في الثامن من آب فلتكن اهلاً للذكر الصالح لانها تعبت كثيراً في دير القديس سركيس مع باقي الراهبات اولاهن الله السلام والراحة مع العذارى الحكيمات » وقال المطران اسطفان عواد بعد ايراد هذا الخط انه كان بالقرب من حردين ديران قديمان جداً حذا كنيسة القديس سركيس احدهما كان مدة كرسياً بطريركياً ومقاماً لرهبان كثيرين من الموارنة والثاني ديراً للراهبات وبقي الديران الى سنة ١٤٥٠ وبعدئذٍ ترك الرهبان والراهبات الديران لتوالي صروف الدهر ولم يبق الى الآن الا اطلال كنيسة القديس سركيس وقال انه كان قديماً عند الموارنة والنساطرة واليعاقبة عدا راهبات الاديرة راهبات محصنات او حبيسات فهولاء بعدان يعشن في الدير ثلث سنوات ينقطعن في صومعة قريبة من الدير متحجبات عن معاشرة الناس والخطان المذكوران بينا انه كان عند الموارنة في ذلك العصر مثل هولاء الحبيسات قلت ومثل هولاء كورا ومارانا راهبات القديس مارون المار ذكرهما

وجاء في الكتاب المذكور ايضاً صفحة ٩٨ بسم الله الحي قد وقفت اشمونة ابنة لياس على دير القديس سركيس الكرم الذي لها عند العين ليخولها الله خلاص نفسها وصحة جسدها وكان هذا الوقف سنة ١٥٠٩ يونانية (توافق سنة ١١٩٨م) يوم عيد القديس سركيس ونشهد بذلك نحن الكهنة تادي وجورجيوس وبولس »

الحادي عشر كنيسة القديسين نهرا وباسيليوس في صمار جبيل قال المطران اسطفان عواد السمعاني في كتابه المذكور ان كنيسة القديسين باسيليوس ونهرا

التي تسميها العامة مادي نوهرا والتي يكرمها من اقدم الايام الموارنة بل الاراطقة والمشاقون وغير المؤمنين ايضاً وهي في ابرشية جبيل (تحسب الان من عمل البترون) حذاء القلعة الحصينة التي بناها حكام طرابلس من اللاتينيين في القرن الثاني عشر للذب عن هذه الناحية من غارات المسلمين واطلالها الباقية الى الان دالة على عظمتها وقد اعتاد المؤمنون بل غير المؤمنين ايضاً ان يقدموا البخور والشموع وغيرها من التقادم لكنيسة القديسين باسيليوس ونهرا القائمة بجانب هذه القلعة توسلاً بشفاعة هذين القديسين وذكر من الخطوط المعلقة على كتاب الاناجيل الثاني المذكور خطاً علق على الصفحة الاولى منه بالسريانية هذه ترجمته « بسم علة كل مخلوق في سنة ١٥٨٠ يونانية (توافق سنة ١٢٦٩ م) اقتسم بنو الخوري اقليمس خدمة كنيسة القديسين باسيليوس ونهرا بينهم مشاهرة فاصاب يرصوما كانون وكانون وحزيران وتموز واصاب اخويه سليمان وفيلبس الثمانية الاشهر الباقية » وخطاً اخر علق على صفحة ٤ بالسريانية وهذه ترجمته « بسم الله الحي في سنة ١٥٨٠ يونانية (توافق سنة ١٢٦٩ م) قد وقف الشماس يوسف لكنيسة القديسين باسيليوس ونهرا جميع متروكات امرأته المتوفاة » وخطاً علق على صفحة ٩ بالعربية الا البسملة وهذا هو **حهد لاهوا معما** (بسم الله الحي) في سنة الف وسبعماية (كذا كتبت ولكن ترجمها المطران اسطفان المذكور سنة ١٥٦٥ لانه وفقها الى سنة ١٢٤٥ م) وخمسة وستين يونانية سليمان ابن توما من حردو (لعلها حردين) اوهب لكنيسة مار باسيليوس ومار نهرا حقلتين زيتون بقرب قرية بشري عن نفسه ونفس اخوه من يستخلصها يكون حظه مع يوداس الاسخريوطي » فهذه الخطوط مؤرخة في القرن الثالث عشر لكنها مشعرة بان هذه الكنيسة اقدم من ذلك العصر . الثاني عشر كنيسة القديس ادنه في العاقورة فقد ورد مرات ذكر المطران ارسانيوس اسقف العاقورة الجالس في دير

القديس اذنه في العاقورة واطلال هذه الكنيسة ما زالت في العاقورة وتعرف بهذا الاسم الان وجاء في تاريخ سنة ١٢١١ من تاريخ البطريرك اسطفانس الدويهي « في هذا الزمان اخذ ابناء ملتنا بلبنان يقرعون نواقيس من نحاس بدل الخشب للصلاة والقداس وفاضت نعم الله بين ايديهم فانشأوا كنائس واديارًا ومدارس يقصدها الناس لخدمة الله وخلاص نفوسهم وكان للخوري باسيل من بشري ثلث بنات اسماهن تقلا وصالومي ومريم نذرنَ لله عذرتهن وانفقن جميع ما يملكنَ في بناء الكنائس وتجهيزها فبنت تقلا في هذه السنة كنيسة القديس جيورجيوس والقديس دومط في بقرقاشا وكنيستين للقديس لابي الرسول والقديس سرجيوس الشهيد في بشنين بالزاوية . وفي سنة ١١١٣ رقدت بالرب وبنت اختها مريم كنيسة للقديس سابا في بشري واختها صالومي كنيسة القديس دانيال في الحدث »

واما دير قنوبين فهو اقدم من هذه الكنائس اذ يقال ان الملك توادوسيوس امر ببنائه وفي رواية ان توادوسيوس الذي بناه ليس هو الملك بل سائح يسمى توادوسيوس نسك في المغارة التي هناك وبنى شيئاً حولها وسوف نتكلم عليه في ما بعد عند ما نذكر نقل الكرسي البطريركي اليه في اواسط القرن الخامس عشر ان قدرنا الله على ايصال تاريخنا الى ذلك القرن

عـد ٣٤

في تفنيد زعم غوليلمس الصوري ان الموارنة ارعووا عن الضلال سنة ١١٨٢

روى غوليلمس اسقف صور اللاتيني في كتابه ٢٢ في الحرب فصل ٨ ما ترجمته « لما استراحت المملكة (مملكة اورشليم) من حرب صلاح الدين سرت سرورًا موقوتاً في ان ملة من السريان تسكن في عمل من فونيقي في سفح لبنان قريب من جبيل طرأ عليها تغير مهم لانهم بعد ان كانوا اتبعوا مدة خمسماية سنة

ضلال مارون المبتدع وتسموا موارنة نسبة اليه وكانوا يتمون اسرارهم منفصلين عن جماعة المؤمنين استفاقوا بالهام الله وهبوا من تقاعدهم وهلموا الى ايميريكس بطريرك انطاكية اللاتيني وهو الثالث من البطاركة اللاتين الذين تراسوا هذه الكنيسة وارعووا عن الضلال الذي كانوا متمسكين به ورجعوا الى وحدة الكنيسة الكاثوليكية واعتقدوا الايمان القويم وحافظوا على تقليدات الكنيسة الرومانية بكل احترام واجلال ولم يكن عدد هذا الشعب يسيراً بل كان يقال انهم يجاوزون الاربعين الفاً منتشرين في اسقفيات جبيل والبترون وطرابلس وسفح لبنان وهذا الجبل كما مر وكانوا رجالاً اشدّاء مدربين بالحروب وكانوا نافعين لنا جداً في مهامنا الخطيرة وفي اغاراتهم المتواترة على الاعداء ولهذا سرّ قومنا كل السرور برجوعهم الى الايمان القويم واما ضلال مارون وتباعه فهو انه كان في ربنا يسوع المسيح مشيئة واحدة وفعل واحد كما يظهر من المجمع السادس الذي عقد لنبذ ضلالهم وحكم عليهم بالحرم وزادوا على هذا المعتقد المرذول من الكنيسة الارثوذكسية اشياء اخرى مضرة بعد ان انفصلوا من جماعة المؤمنين ولما ندموا على هذه الاشياء جميعها كما قدمنا ارعووا الى الكنيسة الكاثوليكية مع بطريركهم وبعض اساقفتهم الذين كما تقدموهم بالضلال تقدموهم بالعود التقوي الى الاقرار بالحقيقة انتهى مترجماً بكل دقة عما رواه بارونيوس في تاريخ سنة ١١٨٢ بحروفه اللاتينية من كلام غوايلمس الصوري

ان كلام غوايلمس هذا يتضمن امرين الاول اخباره عن تمسك الموارنة خمس مئة سنة في الضلال تبعاً لمارون المبتدع وانعقاد المجمع السادس لنبذ ضلالهم وحرمه لهم . والثاني خبره عن ارتجاعهم على يد ايميريكس بطريرك انطاكية فالاول كاذب بجملته والثاني صادق في بعض الموارنة لا كلهم وهاك البيان للاول ان غوايلمس يقول ان المجمع السادس عقد ضد الموارنة (كما هي حرفية العبارة) وانه

حرمهم فتراهن كل من شاء على ان يبين لنا كلمة او اشارة في النص اليوناني لهذا المجمع او ترجمته اللاتينية القديمة تشعر بان هذا المجمع عقد ضد الموارنة او بانه حرمهم فان اباءنا سلمنا طائعين بكلما يتهمنا به خصومنا من هذا القبيل وان استحال عليه ان يجد مثل هذه الكلمة او الاشارة فلينكف عن ثلبنا ويوقن بان غوليلمس اغتر باعتماده على تاريخ سعيد بن البطريق الذي جعل البابا انوريوس والملك هرقل وسرجيوس وبيروس وبولس وبطرس بطاركة قسطنطينية وقورش بطريرك اسكندرية جميعاً موارنة وهو امر مضحك يسخر منه كل عالم وانكره على ابن البطريق كل محقق حتى بوكوك اول من ترجم تاريخه وسلمانس الذي طبعه

ان زعم غوليلمس ان الموارنة اتبعوا ضلال مارون المبتدع وتمسكوا به خمس مئة سنة لا اس له الا خرافة سعيد بن البطريق وقد ذكرناها مراراً ولا بد الان من مراجعة خلاصتها «كان في عصر موريق ملك الروم راهب اسمه مارون كان يقول ان في المسيح مشيئة واحدة وفعلاً واحداً ولما مات بنى له سكان حماه ديراً واتبعوا اعتقاده وسموا موارنة» وقد اقر غوليلمس نفسه انه اعتمد على شهادة سعيد بن البطريق اذ صرح في مقدمة كتاب تاريخه ان اموري ملك اورشليم دفع اليه بعض كتب عربية في جملتها تاريخ سعيد المذكور واقترح عليه كتب تاريخ فاعتمد خاصة على تاريخ الرجل المحترم سعيد بن البطريق البطريرك الاسكندري وقد اشار الى ذلك البابا بناديكتس الرابع عشر في منشوره الاتي ذكره بقوله «ان شهادة غوليلمس ليست بكافية لتأييد الراي المضاد للموارنة ولربما عرف غوليلمس نفسه ضعف قوله ولذلك عزاه الى المجلد الثاني من تاريخ سعيد الاسكندري» واما كون حكاية سعيد هذه التي اعتمد عليها غوليلمس هي من اترهات البسابس فقد اجاد ببيانه العلامة البابا بناديكتس الرابع عشر في

منشوره في اثبات قداسة القديس مارون الذي اثبتنا ترجمته في عدد ١٨ حيث اورد هذا البابا الجهبذ ادلة على ذلك يستحيل نقضها منها ان القديس مارون كان في اخر القرن الرابع واول القرن الخامس وبدعة المشيئة الواحدة لم تظهر الا في القرن السابع فبينه وبين ظهورها قرنان فمن المحال ان يكون مارون ابتدعها ومنها ان دير القديس مارون الذي روى ابن البطريق ان سكان حماه بنوه على اسمه كان قبل ظهور هذه البدعة بقرنين ايضاً اذ كان ديراً مشهوراً برهبانه الافاضل في القرنين الخامس والسادس كما يظهر من رسائلهم الى البابا هرمزدا وغيره المدلقة في ذيل المجمع الخامس ولما دك هذا الدير انسطاس الملك جدد بناه الملك يوستنيانس الاول الذي توفي سنة ٥٦٥ كما حقق بروكوبيوس القيصري في الكتاب الخامس في ابنية يوستنيانس وهذا المؤرخ كان من رجال دولة يوستنيانس المذكور وعليه فمن شاء ان يكابر مدعياً صحة شهادة غوليامس المؤسسة على شهادة ابن البطريق فليرد ولو هذين الدليلين اللذين اوردهما البابا بناديكتس او يثبت ان غوليامس اعتمد على غير سعيد في زعمه هذا عن الموارنة فنسلم طائعين

بقي ان يقال ان مارون الذي ذكره ابن البطريق وانتحل غوليامس قوله ليس مارون الرئيس بل يوحنا مارون البطريرك الذي كان في القرن السابع. فنجيب ان هذا الزعم ايضاً باطل بل محال لان يوحنا مارون لم يكن في ايام موريق ولا بنى اهل حماه على اسمه ديراً كما قال ابن البطريق بل صير اسقفاً على البترون سنة ٦٧٥ او سنة ٦٧٦ وبطريركاً سنة ٦٨٥ وتوفي سنة ٧٠٧ فاشتهر في عصر الملك قسطنطين اللحياني ويوستنيانس الثاني الاخرم لا في عصر موريق الذي كان في اخر القرن السادس وقد صرح البابا بناديكتس الرابع عشر في خطبته بكرادلة الكنيسة الرومانية في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤ ان الموارنة انما انتخبوا بطريركاً

خاصاً عليهم وهو يوحنا مارون ليقوا نفوسهم من بدعة المشيئة الواحدة فما الذي يبقى من القوة لزعم غوليلمس او غيره من خصومنا ان يوحنا مارون ابتدع هذه البدعة فضلاً عن الاجماع على ان يوحنا مارون توفي سنة ٧٠٧ وان ظهور بدعة المشيئة الواحدة كان سنة ٦٢٨ فلو فرضنا انه عاش ثمانين سنة لكان مولده سنة ٦٢٧ فكيف يبتدع بدعة وعمره سنة او سنتان وان قيل اتبع هذه البدعة بعدًا فلِمَ لا نجد اسمه بين من حرمهم المجمع السادس وغوليلمس يزعم ان المجمع السادس عقد ضد الموارنة وحرمهم ولا يستطيع هو او غيره اياً كان ان يحجنا بكلمة او اشارة من النص اليوناني لهذا المجمع او من ترجمته اللاتينية يتبين بها اسم مارون او الموارنة مع ان هذا المجمع عدد اسماء كل منشئي هذه البدعة ومن شايعهم عليها فلِمَ صمت عن مارون او يوحنا مارون او الموارنة

ان كلما اوردناه قبلاً لاثبات براءة المارونين والموارنة من هذه البدعة من شهادات الاحبار الاعظمين وكرادلة الكنيسة الرومانية وقصادها ولعلماء المحققين والادلة القاطعة على ثبوت الموارنة في الايمان الكاثوليكي منذ ظهور هذه البدعة الى سنة ١١٨٢ كل ذلك يصلح ان يكون برهاناً قاطعاً على بطلان زعم غوليلمس ان الموارنة تشبثوا ببدعة المشيئة الواحدة خمس مئة سنة وارعووا عنها سنة ١١٨٢

وقد فند هذه التهمة كثيرون من العلماء الغربيين والشرقيين وزيفها من علمائنا كثيرون نخص بالذكر منهم البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخه وفي كتابه ردّ التهم والعلامة السمعاني في مواضع كثيرة من المكتبة الشرقية ومن مكتبة الناموس وغيرهما من كتبه والمطران اسطفانس عواد السمعاني في محاماته عن القديس يوحنا مارون وفي كتابه فهرست الكتب الشرقية في المكتبة المادبشية والبطريرك يوسف اسطفان في محاماته عن قداسة القديس يوحنا مارون والخوري

انطون القيالة في رده رسالة القس يوحنا عجيمه والبطريرك بولس مسعد في كتابه الدر المظوم وانا احقر هؤلاء العلماء الذي لا استحق ان اذكر في عديدهم في كتابي روح الردود وفي كتيب رفعته في السنة السالفة الى علماء مجتمع الآثار القديمة الذي التأم برومة سنة ١٩٠٠ وساذكر شهادة بعض مشاهير المؤرخين اللاتينيين

واما القسم الثاني من شهادة غوليلمس الصوري وهو ما رواه عن ارتداد الموارنة على يد ايميريكس بطريرك انطاكية اللاتيني فلا نجحد صدقه على فريق من الموارنة فقد رايت ما ذكرناه في الكلام على بطاركة طائفتنا في هذا القرن عن انخداع فريق من الموارنة لمقالة توما اسقف كفرطاب وبث بعد وفاته ابن شعبان وابن حسان ضلاله بين الموارنة حتى اطغوا سكان بعض القرى منهم اهل كفرياشيت وجنح البطريرك نفسه الى ضلالهم فنهض لمقاومته باقي رؤساء الملة واعيانها والسواد الاعظم من شعبها وحملتهم الحمية والغيرة الدينية على حطه عن مقامه واقامة بطريرك اخر صحيح المعتقد فلم يكن من الاغرار المغوين بالضلال الا انهم جسروا على قتل البطريرك الحديث فعظم الامر على الاكثرين المتشبثين بالايمان القويم وعزموا ان يهلكوا اولئك الشاذين عن اخرهم فتدارك امرهم ايميريكس بطريرك انطاكية اللاتيني وارشد اولئك الضالين فارتدوا الى محجة الدين القويم وصالحهم مع اخوانهم وادخلهم في طاعة ووسائهم فانتخبوا متفقين بطريركاً عوضاً عن البطريرك المقتول وكل منصف يرى ان التهمة بالضلال والارتداد عنه لا تصدق في هذا الحادث الا على ذاك الفريق القليل ولا تمس شان الطائفة بجملتها ولا يصدق عليها اتباع الضلال والرجوع عنه فجنوح بطريرك الى ضلال وقتل بعض الاغرار المتحمسين للضلال بطريركاً من الكبائر العظيمة لكنها من الاعمال الفردية المقصورة على فاعليها ولا تتعدى الى الملة كلها ونهوض باقي رؤسائها واعيانها وشعبها على البطريرك المغتر وحطه عن مقامه بينة

دامغة على براءة ساحة الملة بجملتها من شائبة الضلال بل دليل قاطع على تشبثهم المتين بعروة الايمان القويم ونجتزي بان نورد اثباتاً لكل ما جئنا به في هذا الفصل شهادات باجيوس ولكويان وهما من كبار المؤرخين المدققين فالعلامة باجيوس انتقد تاريخ الكردينال بارونيوس امام المؤرخين ونقحه سنة فسنة ولما كان بارونيوس ذكر رواية غوليلمس عن ارتداد الموارنة في تاريخ سنة ١١٨٢ الحق باجيوس بكلامه انتقادًا وتنقيحاً هذا ملخصه « عد ١٠ غلط غوليلمس الصوري في كل ما رواه عن ارتداد الموارنة ابنا في عد ٤ كم انخدع غوليلمس الصوري وما اشد بغضه للفرسان الاورشليميين اذ كتب انهم كانوا قبلاً ينتمون الى حماية القديس يوحنا الرحوم ولما ازداد مالهم استبدلوه بالقديس يوحنا المعمدان وتبين هنا كم اخطأ بنسبته بدعة المشيئة الواحدة الى ملة الموارنة بجملتها وقد ذكر بارونيوس كلامه بجملته فاكتفي انا بايراد ملخصه » ولخصه الى ان قال « عد ١١ ان غوليلمس الصوري اعتمد على حكايات كاذبة لا شك في ان الصوري انتحل في كتابة تاريخه اشياء كثيرة من تواريخ سعيد البطريرك الاسكندري وهذا لم يكن مدققاً في تواريخه بل ادخل بها حكايات كثيرة وروى امورًا تخالف راي المؤلفين وهي عن الصدق بمراحل وقد صرح غوليلمس نفسه في مقدمة كتابه » بان اموري ملك اورشليم دفع اليَّ كتباً عربية فكتبت تاريخاً اخر يبتدئ من ظهور الاسلام الى هذه السنة التي هي سنة ١١٨٤ للميلاد فينطوي على تاريخ خمس مئة وسبعين سنة وقد تبعت خاصةً الرجل المحترم سعيد بن البطريق البطريرك الاسكندري » ... فتاريخ الصوري هذا لم يصل الينا وما بقي منه في تاريخ الحرب المقدسة قال هو فيه « لم يكن لديَّ في هذا القسم ما يرشدني اليه من الكتب اليونانية او العربية فاعتمدت فيه على التقليدات وحدها الاَّ شيئاً يسيرًا كنت فيه شاهدًا عيانياً ونظمت سلسلة اخباره » على ان التقليدات التي

ايهما كانت غالباً غير صحيحة ومما لا ريب فيه انه اعتمد في اكثرها على حكايات سعيد المذكور عن اصله العربي فقال « كان في ايام موريق ملك الروم راهب اسمه مارون » الى اخر كلامه المعروف الذي رواه باحيوس هنا الى ان قال « عدد ١٢ ان تاريخ سعيد مشحون بالاقاصيص لان بدعة المشيئة الواحدة لم تظهر في ايام موريق هذا ولا في عصر فوقا خليفته بل في ايام هرقل وهذا يعلمه جميعهم والدير الذي ذكره سعيد لم يكن بعد وفاة مارون هذا (اي يوحنا مارون) بل كان قبله بنحو مائتي سنة وكان مكرساً على اسم القديس مارون الرئيس وقد استدل نيرون على هذا بشهادة بركوبيوس القيصري في الكتاب الخامس من ابنية يوستنيانس حيث قال « جدد واصلح فندق الفقراء على اسم القديس رومانس ودير القديس مارون فوق حماه » ومما لا يمتري فيه ان . يوستنيانس توفي سنة ٥٦٥ وموريق تسنم منصة الملك سنة ٥٨٣ وتوفي سنة ٦٠٢ فتجديد بناء الدير في ايام يوستنيانس يستلزم ان يكون حينئذٍ قديماً جداً وتؤيد ذلك اعمال المجمع الخامس المسكوني الذي عقد سنة ٥٥٢ في عصر يوستنيانس المذكور اذ شهد هذا المجمع قصاد دير القديس مارون الذي كان طائر الشهرة وكان اول جميع اديار سورية الثانية ورئيسها وهذا بيّنٌ ايضاً من توقيع سفراء هذا الدير على اعمال المجمع المذكور . وقد ابنا ان مارون هذا « اي يوحنا مارون » كان راهباً في الدير المذكور نفسه وكان اسمه يوحنا فزاد عليه مارون آخذاً اياه من اسم دير القديس مارون الرئيس وقد استوفينا رد هذه الحكاية باسهاب في تاريخ سنة ٦٣٥ » (نكتفي برده هنا عن رده في تاريخ السنة المذكور لئلاّ يملّ القاري)

« عدد ١٣ ان بعض الموارنة زاغوا عن الايمان . بقي لنا هنا ان نفند ما رواه باروئيوس عن الصوري من ان ملة الموارنة بجملتها ارتدت الى الايمان

الكاثوليكي فلا ريب في ان بدعة المشيئة الواحدة انسربت في جبل لبنان واتصل السم الى البطريرك نفسه كما رويناه في تاريخ سنة ١١٠٩ وكان انسرابها في نحو اوائل هذا القرن بواسطة توما الحاراني اسقف كفرطاب كما قلنا في المحل المذكور

عد ١٤ وفي هذه السنة ١١٨٢ اوقع ايميريكس البطريرك الانطاكي الصلح في كنيسة الموارنة ان الموارنة بعد ذلك وبعد ما ذكرناه في تاريخ سنة ١١٠٩ انتخبوا بطريركاً كاثوليكياً فقتله الشاذون عن الايمان وتوافرت الانقسامات والقلق بين الموارنة على انتخاب بطريرك اخر كما روى نيرون فتسارع ايميريكس بطريرك انطاكية اللاتيني وخمد جذوة حنقهم ورد من اوجدوا الشقاق او اتبعوه الى الطاعة وحلهم بسلطان الحبر الروماني من الحرم الذي حلّ بهم لاقترافهم الجريمة الكبرى بقتل البطريرك واجتمعت كلمة الموارنة على انتخاب بطريرك حديث مشهور باستمساكه بالايمان القويم » وايد باجيوس كلامه بما جاء في مقالة نيرون من انقياد الموارنة بواسطة ايميريكس وطلبه الحل لهم من الكرسي الرسولي وانتخابهم بطريركاً سكن في دير العذراء القديسة في هايل وحفظ كل ما في الانجيل وكان ضليعاً في تفسير الاسفار المقدسة والف مياصر كثيرة في الايمان ولم ينبذ ايمان مارون بل ثبت وتأيد الى ان قال « ومن ذلك ينتج نتجاً واضحاً ان الصوري لما علم ان الموارنة الذين اتبعوا شقاق توما الكفرطابي جحدوا ضلاله على يد ايميريكس واقروا بالايمان الروماني هم والبطريرك بعد وقوع الصلح ظن ان الموارنة كانوا متلوثين ببدعة المشيئة الواحدة فنسب الى كل الملة ما لا يصدق الا على فريق يسير منها ولا اهمية له فيها وقد زاغ مدة فقط الا ان نقول ان الصوري انخدع باخبار احد من الذين ارتبكوا بشقاق توما الكفرطابي ولكن لا معذرة البتة للصوري بزعمه ان المجمع السادس عقد ضد الموارنة وانه حرمهم

اذ لا كلمة واحدة في اعمال هذا المجمع تشير الى ذلك

عدد ١٥ قد اخطاء الصوري بنسبته الى الملة جمعاء الضلال فكيف حق له ان يقول ان الموارنة تمسكوا ببدعة المشيئة الواحدة خمس مئة سنة واسقفهم داود الذي كان سنة ١٣٧٠ لاسكندر وهي سنة ١٠٥٩ الف كتاباً جمع فيه قوانين الكنائس الشرقية كما يظهر من رسالة الانبا يوسف اليه في طلب هذا الكتاب وقد اثبت الاسقف داود في الفصل الاول منه ان الموارنة يعترفون بمشيئتين في المسيح اذ قال « ان الروم يتفقون مع الموارنة بالاقرار بالمشيئتين والموارنة يعترفون بالمشيئتين تبعاً للطبيعتين الالهية والبشرية » فكيف يزعم الصوري انهم كانوا ملوثين ببدعة المشيئة الواحدة خمس مئة سنة ولم يرعووا عنها الا سنة ١١٨٢ اجل ان بعض الموارنة سافر الى قبرص حين انقسامهم واطغى كثيرين ولكن لا ينتج من هذا الاَّ ان كثيرين من الموارنة كانوا ضالين عن الايمان الصحيح على ان هذا لا يوجب الضلال على الامة جمعاء كما ان كثيرين من الافرنسيين والجرمانيين تلوثوا بضلال كالوينوس ولا ينتج من ذلك ان الامتين ليستا كاثوليكيتين وقد ندد بعضهم بالموارنة لانه وجد في كتبهم ما يدل على بدعة ولا سيما بدعة الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة لكن هذا ادخله مكر اليعاقبة على كتب الموارنة لانه لما كانت الملتان تستعملان اللغة السريانية في صلواتهما فعني اليعاقبة بان يدخلوا ضلالهم في كتب الموارنة محرفين لها او زائدين عليها وهذا ظاهر مما كتبه بطرس بطريرك الموارنة الى الكردينال انطونيوس كارافا في ٢٥ آب سنة ١٥٨٣ ورواه نيرون صفحة ١٧ في مقالته المذكورة وهو « قد كتب اليكم بعض الناس ان في كتبنا بعض كلمات تخالف راس الكنيسة المقدسة فنحن لا نقبل الا ما تقبله الكنيسة المقدسة وما يوجد في بعض النسخ يمكن ان يكون ادخل على كتب الموارنة من كتب الملل المحدقة بنا من زمان مديد فدع يا اخي جانباً كل شبهة

باستقامة ايماننا فاساسنا ثابت منذ القديم على ايمان الكنيسة المقدسة الرسولية الرومانية ولم نزغ عن هذا الايمان البتة ولا نكلمكم بفينا فقط بل بفمنا وقلبنا معاً والله الشاهد على ذلك » فصح اذًا ان غوليلمس الصوري وكثيرين غيره من الحديثين الذين تساهلوا بتصديق اخباره عن ارتداد الموارنة قد انخدعوا انخداعاً كبيرًا

انتهى كلام باجيوس وقد اوردناه مطولاً لما اشتمل عليه من الفوائد في هذا المبحث

واما لكويان فقد ذكرنا شهادته قبلاً فانه بعد ان ذكر ما كان بين الموارنة حينئذٍ وعناية ايميريكس بارتداد الزائغين عن الايمان الى محجته القويمة واذعانهم لارشاده والصلح بينهم قال « لا ريب عندي في ان هذا ما حمل غوليلمس الصوري على ما كتبه من ان الموارنة كلهم رجعوا على الضلال سنة ١١٨٢ على يد ايميريكس البطريرك الانطاكي مع ان هذا لا يصدق عن الملة كلها بل على بعض افرادها فقط » وكان قد قال في مقدمة كلامه على الموارنة « كما لم يعب افرنسة اتباع كثيرين من اكابرها وشعبها مذهب لوتاروس وكالوينوس هكذا لا يعيب الملة المارونية اتباع بعض افرادها الضلال مدةً ما »

اني ارى هذه الادلة التي اوردتها حتى الان تجاوز حد الكفاية في دحض دعوى سعيد بن البطريق وغوليلمس اسقف صور على الموارنة الضلال الهم الله من يحسدوننا على نعمته وفضله ان ينصفونا ولا اقل من ان يجارونا في طريق الجدال المفروضة ولا يحجونا في ما بعد باقوال سعيد وغوليلمس قبل ان يردوا الادلة الواضحة والبينات القاطعة التي جئنا بها هنا وفي مواضع اخرى